د. عبد الله بن أحمد الفَيْفي

فَيْفَاء

قصـــائد

فَيْفَاء

البريد الالكتروني: E-mail unecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الانترنت

www.awu-dam.org

❑❑

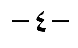
د. عبد الله الفَيْفي

فَيْفَاء

- قصـائد -

منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق - ٢٠٠٥

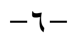


الإهداء

إليــــكِ ـ حبيبتي..

يـــــــا

هَبَّـــةَ الطفولـــة!



عيونُ الشِّعْر

عيـــونُ الشَـــعْرِ تَصـــحو فـــي المرايـــا

فتـــــورقَ فضّـــــةَ الأمـــــلِ الكســـــيحِ

عيـــونُ الشَـــعْرِ تَقْـــرَأُ كـــفَّ وقتـــي

وتكتـــــبُ قصـــــةَ الأُفـــــقِ المُشِـــــيْحِ

تَـــرَى منّـــي، وفـــيّ، مَـــدَى احتمـــالي

وتكشـــفَ شـــاهدَ الأمـــسِ الجَـــرِيْحِ

عيـــونُ الشَـــعْرِ تَقْـــدَحُ بـــينَ ذاتـــي

وبينـــي نَبْـــعَ شِـــرياني وروحـــي

فمـــا أدري، إذا مـــا قَلْـــتَ شِـــعْراَ،

أشِـــعْراَ كـــان قـــولي أمْ جروحـــي؟!

******

أأنفــــاسَ القصـــــيدِ، وربُّ ريّـــا

منَ الفــردوسِ فـــي الحَــرْفِ الـــذَّبيحِ

لنـــا فـــي الشَــعْرِ مَحْيـــىً أو ممـــاتٌ

ومـــوتَ الحُـــرّ كالشَـــعْرِ الصَّـــحِيْح

فقــدْ تَغْــدُو الحيـــاةَ كـــأرضِ "يَهْــوَى"

وقـــد تغـــدو القصـــيدةَ كالمـــــ...!

*** ***

يُشـــيعُ المُرْجِفَـــونَ بـــأنّ خَطّبـــاً

أحـــاط بطـــائرِ الشَـــعْرِ الفَصـــيحِ

"فلكلوريـــــةً" صـــــارتْ مزاجــــاً

فـــلا تحفـــلْ بـــذا الفِكْـــرِ النَّطِـــيْحِ!

لَكَـــمْ تَـــزْري القمـــاءةَ بالـــدَّعاوَى:

تَحملْـــقَ وهْـــيَ تنظـــرُ للسُّـــفَوحِ!

*** ***

يُشـــيعُ المُرْجِفَـــونَ بـــأنّ خَطّبـــاً

طَـــوَى بـــالنّثْرِ ديـــوانَ الجُمُـــوحِ

وأنَّ قصـــــيدةَ اليـــــومِ اســــتقالتْ،

تنـــامُ علـــى حُـــرُوْفٍ مـــن صَـــفيحِ!

لهـــا ليـــلَ امـــرئ القـــيسِ اغْترابـــاً،

لهـــا صُـــبْحٌ كصُـــبْحِ ابـــنِ الجَمُـــوْحِ!

تَوَشَـــــحُ رَبَّـــــةَ الإلهـــــامِ سَـــــيْفاً

وتلعــــنُ عــــاثرَ الحَــــظَ الشّــــحيحِ!

ومـــا يُجْـــدي مـــع المـــوتِ التّـــداوي!

وما تَغْنـــي السُّـــيُوفَ علـــى الطّـــريْحِ!

كـــذا كـــذبوا، وبعـــضُ الحَـــقَ كِـــذْبٌ

يـــواري سَـــوْأَةَ الكِـــذْبِ الصَّـــريحِ!

يلـــــومُ الفاشــــلَ الــــدنيا ويشــــكو

فســـادَ الـــدِّيْنِ فـــي السُّـــوْقِ الـــرَّبيحِ

وتعقـــــمُ أُمّهـــــاتُ الخَيْـــــلِ لمّـــــا

يُخِـــبُّ الـــوَهْنُ فـــي المعنَـــى اللّقَـــوْحِ

فويــــلَ غَـــدٍ مـــن اليَـــومِ، وممّـــا

تَخَبِّـــئَ تحـــتَ إبْطَيْـــهِ قَرُوْحِـــي!

*** ***

معـــاذ الشَـــعْر، والأرزاء تَتْـــرَى

بمـــا نَعَـــقَ الغـــرابُ بكـــلّ ريـــحِ

ســـيبقَى فـــي أتـــونِ الخَلْـــقِ وحْـــيٌ

مـــن الشّـــعراءِ، والشّـــعراءُ تَـــوحي

ســـيبقَى الشَـــعْرُ ديـــوانَ البرايـــا،

نَـــدِيّ النّـــبْضِ بالوَعْـــدِ السَّـــمُوحِ

ســـيبقَى فـــي الـــوَرَى رِئَـــةً، وقَلْبـــاً،

صَبِيْحَ الصَّـوتِ، منـتفضَ الصُّـروحِ

يُقـــــايض وردةَ الآتـــــي بـــــأمسٍ

مـــن الصَّـــحْراء والعَصْـــرِ الضَّـــريحِ!

*** ***

وإنّــــا نبــــدأ الأحــــلامَ شِــــعْراً

فتنــــبجسُ الخَــــوابي بالصَّــــبُوحِ

نعيـــــدُ بـــــهِ الـــــرَّوائحَ للعشـــــايا

ونحمـــــل سِـــفرَهُ يـــومَ النـــزوحِ

ولـــولا الشـــعْرُ مـــا كانـــت لغـــات

ولا اقتـــرَحَ الخيـــال مَـــدَى الطمُـــوحِ

ولولا الشعْرُ ما ســـارت ســـحابُ الـــــ

ـــــمشاعرِ، جـــيش هَطـــالٍ دَلـــوْحِ

يُـــــرَوِّي خــــابيَ التــــاريخِ فينـــــا

ويغشـــــانا بشــــؤبُوْبٍ سَــــحُوْحِ

يُعيـــــدُ بنـــــاءَ أوجهنـــــا، ويرنـــــو

لوَجْـــهِ الحُسْـــنِ فـــي وَجْـــهٍ قبـــيحِ

*** ***

هل الشعْرُ ــ وقد تعبــت نِصَـال الــــ

ـــــقصائدِ ــ غيـــرَ إنســـانٍ ورُوْحِ؟!

فـــــرُبّ قصـــــيدةٍ قصَـــــدَت لِـــــواءً،

ورُبَّ قصـــــيدةٍ فـــــتحُ الفتـــــوْحِ!

الرياض، ٢٠٠١.

***

ولكن!..

عهودكِ..
يا دمائي؟
لم أَخُنْها

ولكنْ..
مات في السيفِ الحسامُ!

وغاضتْ
أمنياتُ الصوتِ
حتّى
تَتَلَّمَ
في
فَمِ
البَوحِ

الكلامُ!

وعاشتْ أُغنياتُ الصمتِ   لَمَّا..

تمطَّى في سنا النجمِ الهُلاَمُ!

***

دَمٌ

أَزْهَى

مِنَ الشَّفَقِ المُسَجَّى

تَخَدَّجُ

في المَدَى.. أُفْقاً يُضَامُ!

يُرَوِّي قارعاتِ العِتْقِ أَمْناً

تَحَدَّرُ

في

المساءِ

لهُ

خيامُ!

وفاضتْ بينَ   أَجْنِحَةِ الرَّزايا

مقادير

مِنَ

البَلْوَى

زُؤَامُ!

رأيتُكِ بينَ   حابِلَتَيْ يَدَيْها

كما

انتهبَ

العَشِيَّاتِ

الظَّلامُ

وما بي من بَقايا الأمسِ

إلاَّ..

تباريح

مُعَلَّبَةٌ

تُسَامُ

أَتَيْتُ وكان وقتُكِ غيرَ وقتي

فلا حَرْبٌ أَتَتْكِ

ولا سَلامُ!

أُجَرْجِرُ بينَ خَطْواتي

خ

ي

ا

ل

ي

فيَمضي الدَّرْبُ عَنِّي .. والمقامُ

لماذا؟ كيفَ؟

يا

صَمْتَ

الحَنايا

سؤالِي

ماتَ

وانتحرَ

المَلامُ!

***

فلا

ما

خُنْتُ

وعدَكِ

صَدِّقيني

ولكنْ.. خانكِ هذا الرُّكامُ!

الرياض، ١٩٩٣.

***

عوجا على الطَّلل المحيل لعلّنا..!

(إلى امرئٍ ذي قروح غادرنا ولم يَعُدْ)

قِفَ بي على طللِ الأطــلال مــأهولا

وعِمْ صــباحا أمِيْــرَ الشــعْرِ مصــقولا!

واستنبتِ الفجرَ من أهــداب غافيــةٍ

وعلــق الشــمس فــي جفنيــكَ قنــديلا!

وابدأ وقوفا علــى ذِكــرى ومنزلهــا

لا تعتريــكَ رســومُ الــدَّارِ تبْــديلا

*** ***

يا حامل الشعْر كــم للشــعْرِ ألويــةَ

ألْــوَتْ بحاملهــا فارتــدَّ محمــولا!

كانــتْ قوافيــكَ أطــلالا تؤنثهــا

أنثــى القــوافي فلِــمْ أمْســيتَ مَطْلَــولا

مازِلتَ تغزِل ماءَ العِشقِ فـــي يـــدها

حتـــى تكسّـــر شـــمْلٌ كنـــتَ مشـــمولا

أرْهِقتَ فوق لواءِ الشعْرِ مـــن دمنـــا

ما أهْرَقَ الليـــل فـــي عينيـــكَ مَسْـــلولا

ماذا تركت وبِنتـــا ودَّعَتـــكَ ضُـــحًى

أودعْتَ دِرْعَـــكَ مُلْقَـــى المَجْـــدِ مَتلـــولا

ورحتَ تركضُ من حُلْمٍ إلـــى حُلْـــمٍ

شرَّقْتَ في الأرضِ غرْبـــا رَفَ سِـــجِّيْلا!

*** ***

أشهَدْتُكَ الله هـــل ضـــاقتْ مرابعُنـــا

عن المَقِيْل بهـــا؟ هـــلْ بِـــتَ مخـــذولا؟

أمْ مَنْ بلاكَ بتغريـــبٍ علـــى مِقـــةٍ؟

إنْ كنـــــتَ تجْهَـــــل لا أبغيـــــكَ تعْلـــــيلا

*** ***

قلْ لي بربِّـــكَ حاجـــاتٍ تسَـــرٌّ بهـــا

غزالـــة الحَـــيِّ ذات الثغـــرِ معْســـولا

ما أمُّ جُنْدُبَ بَعْـدَ البُعْـدِ مِ امـرأةٍ؟

أمْ قـد شَـفيت لبانـاتٍ وتبْـيْلا؟

أمُّ الحُويرثِ طالـت فيـكَ وَحْشَـتها

لـم يسـترحْ صَـدْرُها بَثـا وتعْـويلا

أمُّ الرَّبابِ تنـاجي طيْـف طارقهـا

مازال في القلبِ قلـبٌ منـكَ مشـغولا!

أمومةَ ذهبـتَ ثكلـى بـلا وطـنٍ،

ولا حنـينٍ، بـلا حُـبٍّ، وإنْ قـيلا

هـذي أمومـة أمٍّ أتأمَـت أمَمـا

علـى الشـفاهِ حروفـا يُتمـا حُـوْلا

*** ***

يا أيها المَلِـكُ الضِّـلّيلُ خُـذْ بفَتًـى

لا أرجـعَ الله عَهْـدا كـان ضِـلّيْلا!

إذ يشتري بضَـنى الأيّـام تطْرِيَـة

وإذ يرومُ هـوًى فـي الـرومِ تطفـيلا

قلْ جئتَ تسأل عن عُرْيِيْ ومسْـــغبتي

فاسألْ هَـــدتكَ رِمـــال الوقـــتِ مســؤولا

ماذا وُعِدْت بأرض الرُّومِ مـــنْ حُلَـــلٍ

ألَبَسْـــــتنا داءَهـــــا ذلا وتـــــذييلا؟

وعُدْت لا مَطَـــرا عـــادت بشاشـــتهُ

وما بوجهـــكَ مـــن مـــاءِ الحَيَـــا نِـــيْلا!

*** ***

عُدْ من ضَلالكَ يكفي ما تساقط مـــنْ

نفـــسٍ تسَـــاقط ترْحـــالا وتـــأميْلا!

إنْ لم تجِدْ في ثرَى كفيـــكَ مُنتجعـــا

فمَنْ يبيعـــكَ فـــي بِيْـــدِ الظمـــا مِـــيْلا؟

*** ***

بِعْ لـــي زمانـــا أثيثـــا لا أراكَ بِـــهِ

وَغُل الحروفِ خصِـــيَّ الـــرَّأيِ إجْفِـــيْلا

أبِعْ لـــكَ الشـــرَفَ المُعْلـــيْ ذؤابتـــهُ

وأسْتبيْ لـــكَ مـــن بِنـــتِ العُلـــى جِـــيْلا

وأســـتردُّ لِحُجْـــرٍ صـــولجانَ سَـــنا

لا يُســـــتباحُ غـــداةَ القتـــلِ إنجـــيْلا

وامْلأْ نواكَ منَ الأطـــلالِ ترْسُـــمُها

إطلالـــةَ فـــوقَ نهْـــدِ الأفـــقِ إكلـــيلا

تجْلو دُجاكَ كمَوْجِ البَحْرِ فـــي لغتـــي

وتغتديْ شمسُـــنا خيْـــلَ المُنـــى الطـــولى

*** ***

قِفْ بي على جهةِ الأشـــجَانِ تـــأويلا

وانعَمْ صَباحاً أميـــرَ الأمـــسِ مَعْـــزولا!

الرياض، ١٤١٩/٥/٢٦هـ.

***

معلّقةٌ بباب العصر

وهذه مألكةٌ للحارث بن حلّزة إلى بني قومه،
من مخطوطة قصيدةٍ لم يكتشفها (فريتس كرنكو) في الديوان الذي نشر:

١. "ولمّا أنْ رأيـــتُ ســـراةَ قَـــوْمِي

مَسَـــــاكَى لا يَثُـــــوبُ لهــــمُ زَعِـــــيْمُ"

٢. عَقَرْتُ قصائدي غَرْثَى.. عطاشَى

لـــــــئلاّ يَسْــــــتَبِدَّ بهـــــــا لَئِـــــيْمُ

٣. عَقَلْـــتُ بـــداخلي صَـــعْباً جُـــلاَلاً

يقـــــولُ الصَّـــــامتُ اليـــــومَ الحَكِـــــيْمُ

٤. ورُحْتُ أُصَــوِّرُ الــتّهْلاكَ رَكْبــاً

ببـــــابِ العَصْـــــرِ والمَسْـــــعَى حَطِـــــيْمُ

٥. وأحلامـــي سُـــكَارَى لا تُبَـــارَى

ولكــــــــنَّ الأداة بهـــــــــا نـــــــــؤُوْمُ

٦. بَنَيْتُ علـــى الرَّغَائِـــبِ مُرْجَحِنّـــا

مِـــنَ الآتـــي عليـــه الـــوُرْقُ حُـــوْمُ*

٧. وما بـــي عَيْلَـــةٌ لـــولا انتســـابي

لأذواءٍ عيـــــــــــالُهُمُ حَـــــــــــــ...

٨. يَـــرَوْنَ الخِطّـــةَ العَمْيَـــاءَ حِلْمًـــا

ويَخْتُـــــــوْنَ المُبَـــــــادِرَ إِذْ يَـــــــرومُ

٩. يُوَارُوْنَ المُوَارَى خَـــوْفَ أَنْ لَـــوْ

تَـــــرَاهُ الشـــــمسُ وَهْنًـــــا أو تَشِـــــيْمُ

١٠. يَلُوْثُـــوْنَ الخِبَـــاءَ غَيَاهِبِيًّـــا

يَمُـــــورُ بِعَـــــالَمٍ أَكْهَـــــى يَهِـــــيْمُ

١١. وَيَسْـــتَحْيُونَ أَنْ يَحْيَـــى جَدِيْـــدٌ

وهُـــمْ يَرْجُـــوْنَ لَـــوْ بُعِـــثَ الـــرَّمِيْمُ!

١٢. وسُبْحَانَ الــذي أَغْنَـــى وأَقْنَـــى

لنـــــا الأُخْـــــرَى وللثّقَلَـــــيْنِ دِيـــــمُ!

١٣. وسُبْحَانَ الذي ما انْفَــكَّ يُــوْفِي

لنـــــا الإِيْمَـــــانَ والـــــدُّنْيَا حَـــــرُوْمُ!

*** ***

١٤. أَلِكْنِي ــ لا أبــا لِلْبَــيْنِ دَاراً ــ

لـــــــوَادِي السِّـــــرِّ مَأْلُكَـــــةً تَـــــدُوْمُ

١٥. وأَبْلِــغْ ظَعْــنَهُمْ ظَبْيــاً فَظَبْيــاً

بِمَوْمَـــــــاةٍ مَجَاهِلُهَـــــــا كَتُـــــــوْمُ

١٦. كَأَصْوِرَةٍ بهــا البَيْــدَاءُ تَحْــدُوْ

ومِـــــلْءُ عُيُوْنهـــــا حَـــــدَأٌ وبُـــــوْمُ

١٧. كَأَنَّ سَوَادَ مــا وأَدَتْ وجَاشَــتْ

علـــــى التَّسْـــــآدِ أَغْرِبَـــــةٌ جُثُـــــوْمُ

١٨. "وهُنَّ على الرَّجَــائِزِ واكِنَــاتٌ"

تَطُـــوْفُ بِهـــنَّ مِـــنْ سَـــفَرٍ هُمُـــوْمُ

١٩. "ظَهَرْنَ بِكِلّةٍ وسَـدَلْنَ أُخْـرَى"

وثُقِّبَـــتِ البَصَـــائِرُ والحُلُـــوْمُ

٢٠. "وهُنَّ على الظِّـلامِ مُطَلّبَـاتٌ"

ونِعْـمَ الظّلْـمُ مِـنْ نِعْـمَ الظّلُـوْمُ

٢١. "عَلَوْنَ رُبَـاوَةً وهَـبَطْنَ غَيْبـاً"

ولَـم يَـرْجِعْنَ وأُتَلّـتْ وهُـومُ

٢٢. تَقُوْلُ الحُـرَّةُ الوَطْفَـاءُ وَيْلِـي

أمـا فـي القَـوْمِ جَسَّـارٌ حَلِـيْمُ؟!

٢٣. يُرِيْغُ البَسْـمَةَ العَـذْرَاءَ يَوْمـاً

لثَغْـرِ الشّـمْسِ فِيْنَـا أو يُقِـيْمُ

٢٤. كنُوْنِ النِّسْوَةِ اجْتَاحَتْ حُرُوفـي

سُـكُوْنٌ يَسْـتَبِدُّ ويَسْـتَدِيْمُ!

٢٥. وعِنْدِي بـالعُلَى بَصَـرٌ حَدِيْـدٌ

وعِنْـدِي فـي الـدُّنَى نَظَـرٌ سَـلِيْمُ

٢٦. ومــا قالَــتْ غَــدَاةَ البَــيْنِ إلاّ

لِيُنْكَــــأَ فِـــــيَّ فَــــرَّاسٌ كَـــــرِيْمُ

٢٧. يَدُوْرُ مَعَ المكَارِمِ حيــثُ دَارَتْ

فَتَحْمَــــــدُهُ المكَــــــارِمُ والعُلُــــــوْمُ

٢٨. ويَسْتَبْقِي الــتِّلادَ بِــهِ طَرِيْــفٌ

كَنَصْـــلِ السَّـــيْفِ قِرْضَـــابٌ صَـــرُوْمُ

٢٩. يَعِيْــدُ بِنَــاءَ رَدْهَتِــهِ إذا مـــا

تَـــدَاعَى الحَـــيُّ واشْـــتَدَّتْ غَشُـــوْمُ

٣٠. ويَسْتَصْفِيْ المعَــارِجَ للمَعَــانِي

ولا يَرْضَـــــى لنَخْلَتِـــــهِ تَئِـــــيْمُ

٣١. ويَبْرَأُ مِنْ غُبَارِ الــدَّهْرِ وَجْهــاً

بِغُرَّتِــــهِ اهْتَــــدَتْ أُمَــــمٌ أُمُــــوْمُ

٣٢. ويَعْرِفُ دَاءَهُ مِــنْ غَيْــرِ طِــبٍّ

كَفَــى المَــرْءَ المُجَــرِّبَ مــا يَشِــيْمُ!

٣٣. فأبلغْ رَهْطَهُــمْ والحَــيُّ شَــعْثٌ

فقـــد أَبْـــرَأْتُ فـــيهمْ مَـــنْ يَلُـــوْمُ

٣٤. إذا ما ظَلّ في طَخْيَــاءَ قَــوْمِي

فَبُـــدِّلَ مِـــنْ بَنـــي أَبَوَيْـــكَ رُوْمُ!*٢

***

١) البيت يتيم في: ملحق ديوان الحارث، ص٣٠، (تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، ط. (١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ = ١٩٩١م).

٢) ب: "خبأت قصائدي بالطلّ تندى"؛ ج: "خبأت قصائدي والطلّ فيها"؛ د: "خبأت قصائدي والطلّ ينثو".

٣) ج: "عبأت مشاعري همًّا تذرّى"؛ د: "عقلت مشاعري صعباً جلالاً".

٤) د: "التهلاك رشداً"؛ ب: "والماضي حطيم".

٧) ب: "لأقوام"؛ د: "لآباء". ومكان الكلمة الأخيرة في جميع النسخ فراغ.

٨) د: "ويخشون".

١٠) ج: "يموج"؛ ب: "بعالم أعمى".

١٢) ج: "وللثقلين حُومُ".

**) كتب على هامشه: "قال الأصمعي في قول علقمة بن عبدة:*

كاسٌ عزيزٌ مــن الاعنــاب عتقهــا،

لـــبعض اربابهـــا، حانيّـــة حُـــومَ

قال: "الحوم: الكثيرة"، وقال خالد بن كلثوم: "الحوْم: التي تحوم في الرأس أي تدور". (ابن منظور: لسان العرب المحيط: (حوم)).

١٤) ج: "... للبين أرضاً".

١٨) الشطر الأول من البيت، والمقابلة له في الأبيات الثلاثة التالية (١٩ ــ ٢١) تُروَى للمثقّب العبدي، من مشوبته المشهورة.

١٩) ب: "وما كانت مكَلَّلةً حلومُ".

٢١) ج: "واحزألت"؛ د: "واحزلّت".

٢٣) د: "يعيد البسمة"؛ ج: "لعرس الشمس".

٢٤) ج: "يستمر ويستديم".

٢٦) ب: "ليصحو فيّ منتفضٌ كريم"؛ ج: "ليصحو فيّ محتدها الكريمُ"؛ د: "ليصحو فيّ فراس كريم".

٢٨) ب: "فرند السيف منه لا الرسومُ".

٢٩) ج: "جهوم".

٣٠) ب: "تؤوم".

٣٣) د.: "جمعهم".

*٢) من الواضح أن قد دارت القصيدة على ألسنة الرواة فدخل عليها ما ليس منها.

الرياض، ٢٣ رجب ١٤١٩هـ = ١٢ نوفمبر ١٩٩٨م.

* * *

صوت القادم من سواد الأسئلة!

ســـــاهرٌ والليـــلَ فـــي جَفْنَيْـــهِ نـــامْ

وتَنَامَى في صَــدَى الصَّــمْتِ الكَــلامْ!

يســـــتعيدُ الــــرِّيْحَ أشــــواقاً مَشَـــــتْ

سِــــلْكَ يــــاقوتٍ وأحجــــارٍ وَجَــــامْ

في سُرَى الــذِّكْرَى تنَــاغَى طَيْرُهــا

هَمْسَــــــةَ حَــــرَّى وأشــــجاناً تَــــؤَامْ

يَتَمَلاّهـــــــا.. تَمَـــــــلاّهُ: هَـــــــوًى

أو جَــوىً يَكْــوِيْ مصـــاريعَ العِظَــامْ!

....

قـــال فـــي بَيْـــدَرِها الظّـــامي أنـــا

من أنـــا يـــا أنـــتِ يـــا هــذا الزِّحَــامْ؟

ترتقي بي فـــي ذُرَى الأعــوامِ تهـــــ

ـــــفُو تَنـــاديني علـــى البُعْـــدِ سَـــلامْ

طَـــــوَّقَتْني مـــــن بقايــــاكِ مُنَـــى

لــــم تَجِـــدْ بَعْـــدُ مطاياهـــا العِظـــامْ

وطَـــــوَتْني فـــــي مرايـــــاكِ رُؤًى

عَذْبَـــــةٌ كانـــــتْ مـــــرارات زُؤامْ

وتَصَـــــبَّتْني بعينيـــــكِ صُـــــوًى

جَـــدَّفَتْ صَـــوْبَ مجاليهـــا الرِّهَـــامْ

أَطْرَبَتْنـــي.. أَرَّقَتْنـــي.. وطَـــوَتْ

فـــي سِـــجِلِّ الـــنَّفْسِ أصـــداءَ اليَمـــامْ!

....

هِـــيَ دُنْيَـــا مـــن بَقَايَـــايَ دَنَـــتْ

ومَطَـــلٌّ للغَـــدِ الآتـــي الضِّـــرامْ!

** ** **

هكـــذا التَقَـــتْ مَـــداراتَ الـــدُّنَى

فـــي مَـــدَارِ اللّيـــلِ أَمْشَـــاجاً تَسَـــامْ

ليلـــــةَ واحـــــدةَ قـــــد لبِسَــــــتَ

من ليـــالي العُمْـــرِ فيهـــا ألـــف عـــامْ!

وهـــل العُمْـــرُ سِـــوَى ليْـــلٍ هَمَـــى

أو سِـــــوَى ليْـــلٍ تـــولّى كالجَهَـــامْ؟!

قـــد يَظـــلَ الفجْـــرُ طِفـــلا ضـــارِعا

مُشْـــــرَئِبَّ الثغْـــــرِ للنهْـــــدِ الفِطـــــامْ

دَرَّ فـــــي وَعْـــــدِ الخبايـــــا دَرُّهـــــا

ســـــاعةَ رَوَّتـــــهُ ألبـــــانَ الغـــــرامْ

فـــإذا النـــورُ بِنـــا يَنـــدَاحُ كالــــــ

ــــــلثغةِ الأولـــى.. شـــآبيبا سِـــجامْ

تـــزرعُ الرَّمْـــل نهـــاراتٍ سَـــرَتَ

فـــي عُـــرُوْقِ الليـــلِ آمـــادَ الظـــلامْ!

....

هـــو حُلْـــمٌ أيْقظتنِـــي نفحَـــةَ

منـــهُ يَقظـــى بـــينَ أحْـــلامٍ نِيَـــامْ

** ** **

ســـاهراً والليـــلَ فـــي جفنـــيْ يَنـــامْ

يَتَسَـــجَّى مـــن دمـــي سَـــيْفاً كَهَـــامْ

مـــن دمـــي الـــدَّافي الّتَشَـــظّى وَرْدَةَ

مـــــلءَ أفـــــواهِ قوافينــــا الحُطـــــامْ

مـــلءَ هـــذا السَّـــهْبِ مـــن غَيْهَبِنـــا

مـــلءَ أثْـــداءِ السَّـــبايا فـــي الخِيـــامْ

سيصـــــولَ الوقْـــتَ منهـــا مِـــلأَهُ

سَـــيَرُدُّ الخَيْـــلَ إصْـــباحُ القَتَـــامْ

سَيَشَـــــدُّ الكَـــــرَّةَ البِكْـــــرَ غَـــــدٌ

سَـــيُرَوِّي السَّـــلّةَ النّشْـــوَى حُسَـــامْ!

....

يومَهـــا فلـــيَهْنَ جَفْنَيْـــكَ الكَـــرَى

نِيْمَـــةَ الطِّفْـــلِ وأحـــلامَ الحَمَـــامْ!

** ** **

ســـــاهِرٌ يَذْبَحُـــهُ صَـــمْتَ النَيَـــامْ

مـــا عليـــهِ؟! جَـــرَّ سِـــكَيْنَ الكَـــلامْ!

حَـــزَّ فـــي مـــاءِ الوَرِيْـــدِ حَـــزَّةَ

أَوْشَـــكَتْ تَـــوْقِظَ أَنْفَـــاسَ الرِّمَـــامْ!

....

رُبَّمـــا أَحْيَـــاكَ تَصْـــهَالَ الظِّبَـــى

ولقـــد يُفْنِيْـــكَ تَسْـــبِيْحُ الغَمَـــامْ!

....

الرياض، ١٤١٥هـ.

***

... ويصحو السؤالُ أشجاراً!

(حواريّة أولى)

أصحو على إيقاعِ قلبي
حينَ يدركني المساءُ
وأَلُمُّ من وَجِعِ السنينِ
براحتي ما لا أشاءُ..
...
أتردُّني خيلُ الحروفِ
لنخلتي الأُولى،
وبسمةِ أُمّيَ الأُولى،
إلى بيتي المعلّق بين أشواقي
على صَدْرِ المعاني الشاعريَّةِ،
حيث تحضنني السماءُ؟

أتردُّني خيلُ الحروف الجامحاتُ
إلى جفونِ الماءِ، أنْقَى
من عيون الغِيدِ، أرْقَى..
يستبدّ الوجدُ أحياناً ويغمرني الصفاءُ؟
أتعيد لي نبعاً تكفّن بالحليبِ
إلى الحبيبِ،
لمبعثٍ حُرٍّ،
رأيتكِ فيه ديواناً،
يُرَوَّى الصيفُ منه والشتاءُ؟
أتُعيد شاماً صار أندلساً،
وتصنع من عراق الفجرِ إيواناً
يُجَلِّل صرحَه الأبدُ المسجَّى والبهاءُ؟

ماذا جَنَى المتنبئُ المحمومُ شعراً،
غيرَ خيلٍ إذ تكوسُ..
ويهطل المطرُ/ الدماءُ؟!
أَوَلَمْ تعلِّمك السنونُ بأنَّ عصرَ الحُلْمِ ولّى،
أنّ عاقبةَ المغامرةِ الشَّقاءُ؟
فتظلّ تغزلُ نهركَ الأبَدِيَّ
من دمع القبيلةِ،
ثم تهرقه فراشاتٍ ملوّنةً،

وترحلُ...
أيها اليَفَنُ المضاءُ!..

قال القصيدُ:
أنا الزَّمانُ،
وما تبقّى من رغيفِ الرُّوحِ،
والدنيا هباءُ..
وأنا انبثاق النار من قلب الظلام السرمديِّ،
أنا الثريّا والثرى،
وأنا البناءُ!..
وأنا ابن آدمَ،
بنتُهُ،
يختار عالمَهُ البديعَ بنفسِهِ،
ويُؤثِّث الساعات من ألقِ الرُّؤى الأبكارِ،
يرسلها الغناءُ!..
سيُحِبُّ في رئة الليالي
من ظباء البيد غانيةَ الحضارةِ،
هِرَّةَ الأعشى
جَلَتْ ولاّدة الأشْهَى
من الأفقِ الغريبِ،
يحوطهُ الأرْطى

ويعلو الكستناءُ!
فأنا الذي يستلّ غايةَ سيفهِ
من هُدْب أُنثى،
أوقدتْ ثوبَ المَجَالِ
إلى المُحَالِ
بأقحوان صباحها البضّ المعتّق بالشموسِ،
فيُغْرِقُ الكونَ الحريرُ/ الاشتهاءُ!..
ليرفّ فوق هيادب الرِّمم المحنّطة الصُّوَى،
حلماً يسافرُ فوقَ تمثال الأنوثةِ..
حينَ يسكنه الجليدُ قَطاً..
ويَقْطُنُ بين أضلعه الخَواءُ!
يستنبتُ الآتي
من الماضي المكدّسِ في جماجمنا،
جذاذاتٍ من الأشباحِ،
والألواحِ،
والأرواحِ،
تأكلها الرياحُ الموسميةُ..
ثم يشربها العَفَاءُ!

في البدء كنتُ أُكَوِّنُ الأكوانَ..
أحلاماً وأيّاماً

عذارى في يدي..
أم هل تراني قد كَبِرْتُ؟...
ألا فكلاّ..
إنني إن شئتُ كنتُ كما أشاءُ!

الرياض، ٢٠ ربيع الآخر ١٤٢١هـ = ٢٢ يوليه ٢٠٠٠م.

***

أرجوحة العار!

لـــــم يحـــــدّث عنهمـــــا السّـــــاري

كيـــف عاشـــا فـــي المَـــدَى العـــاري

فـــي رمـــال الوقـــتِ كـــم ســـارا

كيـــــف صــــاغا لَحْـــــنَ أســــحاري

وتنامــــت فــــي مــــدارِ الأمــــسِ

وطـــــــارت بـــــــينَ أوتـــــــاري

قِصَّــــــةَ لــــــم تنتبـــــهْ عينــــــي

فـــي صِـــباها الضَّـــاحكِ الجـــاري

أيقظـــــت بَـــــدْوا.. ومـــــا زالـــــت

تـــــــوْقِظ المســـــــتقبَل النـــــــاري

....

أسْـــــرَجَت فـــــي ســـــهلِها خيلـــــي

وسَـــــــمَتْ فـــــــي نجـــــــدها داري

وتناجـــــــــتْ أنجـــــــــمُ الـــــــــدُّنيا

بهواهـــــــا الثـــــــائرِ الضَّـــــــاري

نغمـــــــــةً فارهـــــــــة النجْـــــــوَى

تتهـــــــــادَى بـــــــــين أشـــــــعاري

ضـــــــــوّأتْ دربـــــــي بغايـــــــاتي.

عطرُهـــــــا ليلـــــــى وأنـــــــواري

لغتـــــــي كانـــــــت. وقـــــد كانـــــت

تـــــــزرعُ الغيمـــــــاتِ أشـــــجاري

....

فتناهينـــــــا وشـــــــاختْ فـــــــي

مقلتيهـــــــا كـــــــلُّ أنهـــــــاري

وانثنـــــــتْ تبكـــــي صِـــــباها مـــــا

جَرَّحَتْهـــــــا لفَـــــحُ أخبـــــــاري

خبَّرُوهـــــــا ليْلِـــــــيَ المجـــــــدول

سَـــــــــــرابا لَـــــــــفَّ أوزاري

وحَكَــــوا عـــــن شِيــــيْمَةِ العُشَـــاقِ

حكايـــــــا أحرقـــــــت غـــــاري

أشــــعَلوا قلــــبَ فتـــاةِ الأمـــــسِ

فهامـــــــت تســـــأل الشـــــاري

....

لــــم يَــــرَوا بــــينَ ديــــاجيري

لمْـــحَ صُـــبحي النـــائمِ السَّـــاري

ليتهـــــا تــــدري بــــذاكَ الطفـــــلِ

غشَـــــى أرجوحــــــة العَــــارِ

ورَنــــــا يَحْتلِـــــبُ التوْبَـــــاتِ

بكفَـــــيْ طهْرِهــــــا الـــــوَاري

ويُغنَـــــي ــ رَفَــــة التيَّـــــارِ

عليهــــا ــ كَـــــل تيّـــــارِ

مِــــنْ حُمَيَّــــا عِشَـــقِها لحْنــــا

لــــم يَـــدُرْ فـــي سَــمْعِ سُـــمّاري:

قِصَّـــــةَ لــــم تنتبِــــهْ عينــــي

فـــــي صِـــــباها الضَّـــــاحكِ الجــــاري

أيْقظـــــتَ فجْـــــري.. ومـــــا زالـــــتَ

تـــــوْقِظ النيـــــرانَ فـــــي نـــــاري

والهَـــــوَى شـــــاني وأشـــــواقي

والنـــــوَى تطوِيْـــــهِ أطيـــــاري

....

***

الرياض، ١٤١٤/١/١١ هـ = ١٩٩٣/٧/١م.

***

يوميّة فارس

أغمَــدَ السَّــيف، مرهــق الإنســلالِ

وثنــــى شــــهوة الحِصــــانِ الخيــــالي

وتمَشّــى فــي شــكه الوقــت رَهْــوا

يَســـــتعيدُ احتمالـــــهُ باحتمـــــالِ

حَمْحَــمَ المُهْــرُ، شــاعرا لوذعيًّــا

أفلتــــتَ منــــه لفتــــةَ للشَــــمالِ

واســتدار المَــدَى علــى أخدَعَيْــهِ

دورة الســـاعةِ.. انخـــزال الهِـــلالِ

يُلجِـــمُ المُهْـــرَ كفَـــهُ، وبكـــف

يُلجِـــــمُ الآهَ مُــــــدْلهِمَّ السُّــــؤالِ

فـــتش الليـــل وجْهُـــهُ فـــي يديـــهِ

لـــم يَجِـــدْ مـــا يكونـــهُ فـــي الليـــالي

في ذِئــابٍ مــن التــوَى ضــارياتِ

ودَيـــاجٍ مــــنَ الطـــوَى كالسَّـــعالي

يُبْـــدِئ الهَـــمَّ، يَلْتـــوِي، ويُبـــادي،

مُقْـــدِمٌ، مُحْجِـــمُ الظنـــونِ، انتقـــالي

شامَ فـــي ردهـــةِ الوِهــادِ بَصيصـــا

ظــنَّ نجْمـــا مـــن الســـماءِ لـــؤالي

أطْلَقَ الــرُّوحَ فـــي رُخــاءِ المَرايــا

وسَرَى الطرْف يستشِف المَجَالي
طارِقٌ هــذا؟ أمْ طريْــفٌ؟ ومـــن ذا؟

صَقرُ ما كان فـــي السِّـــنين الخــوالي؟

ما الذي يجري؟ هـــل ترانــا حلمنـــا

فصـــحونا بـــلا هـــوًى أو وِصـــالِ؟!

تلـــك غرناطـــة التـــي ضَـــمَّختنِي

بِسِـــجالٍ مـــن الـــوَجَى والمَعــــالي

لـــم يـــزلْ بابُهـــا يَصِـــرُّ بـــأذْني

وبقلبـــــي يُـــــدِيْرُ ألفـــيْ نصَـــالِ!

وفتـــــاةٍ مــــن مهجتـــــي ناهــــداها

ودِمـــــائي فـــي وردةِ الخـــدِّ والــــي

قرْطَبِيَّـــات أنسِـــها لعِبَـــت بــــي

وشَـــمُول انتشـــائها فـــي سِـــبالي

أتراهـــا لِوَهْفَـــةِ العشـــقِ تنسَـــى؟

أمْ تراهـــــا غريـــــرة لا تبـــــالي؟!

أمْ تراني رغبت عني وعنها.

فاســـتحالت قصـــيدة مـــن رِمـــالِ؟!

كـــان يلهـــو بـــه السُّـــؤال ويَلْغـــو

جَـــدَّدَ اللهْـــوُ جِـــدَّهُ، وهـــو بـــالِ

لم يَعُـدْ يـدري مـا الـذي يَنتوِيْـهِ؟

أيّ وَجْـــهٍ لوجهـــهِ مـــن كـــلالِ؟!

يَتـــرَوَّى مـــاءَ المـــلالاتِ صِـــرْفا

فـــي كـــؤوسٍ مـــن الغليـــلِ الـــزُّلالِ!

قال، لمَّا ارتأى لـــه الغــربُ شــرقا،

وإذا الفجـــرُ نشَـــوةَ مـــن مُحـــالِ:

يا غزالي من فِكَــرةِ الحُــبِّ أشَــهَى،

قلْ: متى فِيَّ ترْعَــوِي يـــا غزالـــي؟!

كان يَهْذي وكـــان يَـــذوي عَضُوْضـــا

فـــي ثيـــابٍ ضـــوئيَّةٍ مـــن نبـــالِ

فإذا شَـــخصٌ نابــتَ فـــي البَــراري

أســـودَ الصـــوتِ أبـــيضَ الإنهِمَـــالِ!

يَقضِـــــمُ العُمْـــــرَ وحْـــــدة ورُؤاهُ

تزْجُـــرُ الطيْـــرَ سُـــنحا للشـــمالِ

وإذا أمُّـــــهُ التـــــي لـــــم تلِـــــدْهُ

تبْصِق اللفــظَ فـــي انحنـــاءِ الجِبـــالِ:

"ابـــكِ مثـــل النســـاءِ مُلكـــا مُضـَــاعا

لـــم تحـــافظَ عليـــهِ مثـــل الرِّجَـــالِ؟!"

....

دَمْـــدَمَ الصَّـــمْت والغـــرابُ تغنَـــى

وعَـــوَى الـــذئبُ مـــن شِـــفاهِ الـــدِّلالِ

اصْحَ من أمسكَ استفقْ يـــا صـــديقي

رُبَّ غرناطـــةٍ رَنَـــتْ فـــي احْـــولالِ!

رُبَّمـــا صـــارت الـــبلادُ كتابـــا

أنـــتَ فيهـــا بقيَّـــةٌ مـــن مِثـــالِ!

رُبَّمـــا.. رُبَّمـــا، ورُبَّـــتْ باتـــتْ

لقتيـــلٍ فـــي أرضِـــها واحْـــتِلالِ

فـــدَع الشـــعْرَ هاهنـــا وتهَيَّـــا

تـــنظِمُ الفجْـــرَ غـــرَّةً مـــن نِضَـــالِ

إنمـــا هـــذه الحيـــاة قصِـــيْدٌ

خيْـــرُ أبياتِهـــا الحـــديث الأصَـــالِي!!

الرياض، ١٨/٤/١٤٢١هـ.

***

فارق التوقيت بين غرناطة ومجريط[1]

(جداريّـــــة)

الرياض، ١٩٩٤ ــ ٢٠٠٤

---

[1] *هكذا كان العرب الأندلسيون ينطقون اسم "مدريد".*

إذا لـــم تســـتطعْ شـــيئاً فخُـــذْهُ،

ولا تجتـــــزهُ، فهْـــــوَ سَيَسْـــــتَطِيْعُ!

١ ـ تراجيع

صرّحتَ بـــالهَوَى إذ رمَـــــت أجلــــي
شـــاهتي وانثنـــت طِفلـــــــة المُقــــــلِ
مــــن رأى بيننـــــا فتنـــــــة الغَــــزَلِ

....
....

وشهابُ الزمنِ الآفــلِ ينــداحُ ضــياءً وحــداءَ
وعلى ثمهــدَ يلتــاث كطيفــينِ نواسًــا وغِنــاءَ
وعيونا سُــحُبا تهطــل خــيْلا وخيــالا ولِقــاءَ
وتســـاميتِ بآطامـــكِ كرْمــــا ونِصــــالا ونِــداءَ
فأتيناكِ فرادَى بخطـــى تلتحــف العِشــق ســماءَ

....

....

وتعلقــتَ لغــة الجَــوَى قلبــا تدلّـــهَ واســـتهامْ

أمَرَ الأوانُ زمانهـــا فهفــتَ حمامـــات السَّـــلامْ

فتعانقا.. ما غـــاضَ بالصَّـــفواءِ ينبـــوعُ الغـــرامْ

نميا معا.. دِفئا يلوبُ.. ونشوة الوَعْـــدِ اضـــطرامْ

....

....

وفي ذاتِ عَصْرٍ تسوَّرَ طيْف الغــرابِ الجِــدارا

غريـــبَ المُحيَّـــا قريـــبَ الحُميَّـــا تـــدَلى ودارا

ومَـــرَّ علـــى العاشـــقينَ يـــراودُ جـــارا فجـــارا

ودارَ.. ودارَ.. ودارَ.. ودارَ.. ودارا

وخلف مـــن ريشـــه فـــي القلـــوبِ الحيـــارَى..

....

و ط ا ر ا

!!!

***

٢. البارحة

هنا وقفتُ البارحهْ..

هنا وقفتِ البارحهْ..

والبارحاتُ مرّتْ يا حبيبتي.. والحُبُّ مرْ

كأغنياتِ مِعْوَلٍ[١]

تسيلُ في مدارجِ الفَضاءْ

عَطْشَى تَشِيْمُ دمعةَ الـــ (دّ) ماءْ..

أقلتُ "ماء" أم "(د) ماءْ"؟!

ففي مَدَى الدالِ تدولُ بيننا الدُّوَلْ

وكالغِناءِ في الصَّباحِ

يولدُ العَناءُ في المساءْ

وثَمَّ دالٌ تَرشُقُ الحياةَ دائماً بلثْمَةِ الفَنَاءْ

....

لا شيءَ هاهنا يَعِيْ التفافَ العُمْرِ في مساربِ الشَّجَنْ

---

[١] *طائر يصيح في أيام القحط بصوت حزين، كأنه العويل؛ ومن هذا لعلها اشتقت تسمية بـ "مِعْوَل". وتزعم الحكاية الشعبية في موطن الشاعر أنه إنما يستدرُّ السماءَ لتُمطرَ، فيظلّ في صياحه هذا حتى تنزل له من السماء قطرةُ ماءٍ، لتَخْرُجَ منه وقد صارت قطرةَ دم.*

لا شيءَ يا حبيبتي
إلا أنا..
إلا أنا.
وأنتِ يا حبيبتي
وجذوة الوقتِ المقيمِ بيننا..
وذاك الشعر والوطَنْ..
خرائطُ الفِتَنْ!

لا شيءَ يا حبيبتي
يردّ شيئاً لم يَشَأْ ولم يَحِنْ
لا شيءَ يا حبيبتي
يردّ شيئاً لم نَشَأْ
ولم نُرِدْ له بأنْ يَحِيْن
ولم نَحِنَّ، نحنُ، يا حبيبتي،
نَحِنّ، نحنُ، يا حبيبتي،
لهُ بأنْ يحينْ
ليَشْرَئِبَّ من دفاترِ السنينِ غُصنُهُ..
لو بَعْدِ حينْ
....
وآهِ يا حبيبتي لو تعلمينَ..
آهِ يا حبيبتي لو تعلمينْ!

فكلما رأيتُ شال هذا النهرِ

ينثني على الضياءْ

والآبنوسُ غيمتانِ

حفَّتا الرخامَ كالجنينْ

وطافت الأناملُ الحريرُ تغزلُ المساءْ

كحُمْرَةٍ

يذوبُها في القُبلةِ الأولى مهاجرٌ حزينْ

وبين راحتيكِ نامتْ أحجياتُ الحُبِّ والغِناءْ

والوجدُ راحَ يبتني على النسيمِ مَوْعِدَهْ

وحدَّثَتْني من جديدٍ قولَها غيرَ المُباحْ

راوئحُ الخُزامِ والبَشَامِ والأقاحْ..

شظّتْ مرايا الليلِ فيكِ

ن/ ش/و/ةُ ا/ ل/ ص/ ب/ ا/ حْ

ودَوَّمَتْ تجاعيدُ الثوانيْ

ب. ا. ر. ح. ةْ

!!!

٣. مُدّ دمك!

مُدَّ دمَكْ
لستَ تُصافحُ إلا يَدَكْ
لستَ تُصافحُ إلا دَمَكْ

مُدَّ جداولَ أدمعٍ ودَمٍ تَغَشَّى مِعْصَمَكْ
كم في بناناتكَ أطفالاً يضجُّونَ.. وكمْ
في راحتيكَ يئن قتلَى وثكالَى..
مُدَّها..
مُدَّ دمَكْ..
ما أعدلكْ!

....

تدعو لكَ السُّجُونُ
والسهلُ والحُزُونُ
والمسجدُ المَصُونُ

ومونُنا الفُنُونُ:
أنْ ينصرُكْ
مُدَّ دَمَكْ
....

٤. فارق التوقيت

بين عِذقِ النخلـــةِ الأولـــى ومَوْجـــاتِ الإذاعَـــة

ونَخيلاتٍ تهـــاوَى.. فـــارق التوقيـــتِ ســـاعَة

مثل ما أنكرَ ــ رُغمي ــ سيفيَ الهنديْ التِماعَهْ

أنكرَ النخل صباحا في ثـــرَى العَـــيْنِ ارتفاعَـــهْ

شطهُ الأقصَى تعَرَّى شـــطرُهُ الأدْنـــى مَجاعَـــة

أيُّ صُـــبْحٍ دَجَّـــنَ النخـــل زُرافـــاتٍ ورَاعَـــهْ

مَنْ تراهُ ــ يا رفيقي ــ باعَ نخل العُمْرِ باعَـــهْ؟

صَفقةٌ ما بعدَها للنـــاسِ فـــي السُـــوقِ بِضـــاعَة

يا خريفَ العُمْرِ لا بُوركت نخلاً مـــن وضـــاعَة

ليتني ما عشت يومي.. لا، ولـــم أدركْ ســـماعَهْ

صفحة سوداء حسبي من ســـوادٍ فـــي نصَـــاعَة

سطرُها الأوّل كِــذبٌ سَــطرُها الثــاني لكاعَــة

ـــ هل لهذي الحالِ حلٌ؟ قلْ لنا يــا ذا البَراعَــة

ـــ حينما تنتزعُ الــذات مــن الــذاتِ انتزاعَــة

قلْ على الــدنيا سَــلامٌ كــل معنــى كالفقاعَــة

كلُ حَرْفٍ يصحو شمْشوْنا، فمَنْ يَلوِي ذِراعَــهْ؟

يرتدي التلمــودَ "بِشْــتا" ويُصَــلي بالجَماعَــة!

***

٥. صوت

ما أسمعُهُ..
هل يسمعُني؟
همساً يستلّكِ من شمسي
يستلّكِ من أمسي
فيضيءُ دمي
طيراً من كلْماتِ الفيدا/
الإنجيلِ/
القرآنِ "الأصليِّ"
برفّتهِ
تتوارَى صفرةُ صوتي
أجنحتي الكَسْلَى تعشوشبُ أغنيةً حُوْرِيَّةْ
إذ ترقنُ
بينَ
حنايا
الروحِ
معادلةً فَجْرِيَّةْ

لغةً أخرى تلكَ..
هاتي لغتي الأولَى
ال تبني نخلي الطولَى
حرفًا
حرفًا
رقْمًا
رقْمًا
في ضَحْوَةِ يومٍ
لا يَتَجَلْبَبُ ألواناً قَزَحِيَّهْ
...
ها إنّي أسمعُهُ..
أو لا..
مَنْ يسمعُهُ؟..
فأنا في ماءِ الساعةِ مغموسٌ..
لكني أسمعُهُ:
ذئباً يتخلّقُ من جوعي الحافي
يعوي بكِ فيَّ
ويلعق في صوتي دَمَهُ
ليحيل الليلَ نهارا
ويردّ الهَجْعَةَ نارا
ويَسُدُّ الأفْقَ مَحارا
...
إفروديتُ،

ها إنّي أسمعكِ..
فإلى مَ وربِّكِ أُصْغِي وَحْدِي
يَكْلَحُ في وَجْهي وَجْهُ الليلِ..
تتراقصُ قُدَّامي أُنثَى الغُولِ

....

"أما أنفكَّ مُتَّكِئاً عليها
لأنظُرَ مصبحاً ماذا أتاني،
إذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ
كرأسِ الهِرِّ مشقوقِ اللِّسانِ؟!"[1]

....

وكهامةِ أمسي
هامةُ رأسي
تَعْوِي:
اسقوني!..
اسقوني!..
اسقوني!..
يرتدُّ الصوتُ..
تُناديني:
اسقوني!..
اسقوني!..
من لي؟!

---

[1] البيتان لتأبط شراً: والبيت الأول لديه: "فلم أنفكّ متكأً عليها".

لا ماءَ اليومَ ولا خمرا
لا خمرَ اليومَ ولا أمرا
لكني أسمعُهُ/
أو أني أسمعني؟!..
من خَلْفِ فَحِيْحِ السَّدِّ..
من بينَ صَهِيْلِ الرَّدِّ..
وعلى الجدرانِ،
يُوَقِّعُ لَحْناً مَبْحُوْحا
وأكادُ أَرَى..
لفتاتٍ منهُ تَراني!
تَصْفُوْ بين دمي وفمي حِبْراً أخضرْ
شلاّلاً عِطْرِيًّا
ما ضمَّتْ
ــ يا أنتِ ــ
في ثورته كغدائركِ الفِتْنَهْ
كسنابلَ من ذَهَبِ النَّجْوَى
ماجتْ
تتساءلُ في قلمي
..
يا لؤلؤتي،
ها إني أسمعُكِ!
صَوْتاً كَثّاً كالرَّغْوَةِ
يَغْشَاني كُلّي

يصحو في كُلِّ مساماتِ النَّمْلِ
بشتاءِ الأريافِ الباكي صيفَ المُدُنِ!

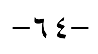
...

ها إني
الآنَ بصوتي أسمعُكِ!
إني..
ريحاً تجري بدمائي
لكنّي..
أخشى
أنْ لا تأتي..
أبداً..
أو أنْ تأتي إذْ لستُ أراكْ!

***

زفرات أخرى من سفر أيوب!

(جداريّـــــة)



(أ)

زهرة بيضاء
على مفرق الشمسِ
لاحتْ،
وبئر المعاني العتيقة
كانتْ
تَثاءبُ..
للّيل خيلُ هبوبٍ وللسّارياتِ تَقِيَّهْ...
قال:
"واعطش الشمسِ،
وضْع النقطة يقلقني،
فلقد يَبْقَى
لشُجونِ القَوْلِ بَقِيَّهْ!"...

(٢)

بياضُ الأنوثةِ وعْدْ
وتلويحُ نَهْدٍ لنَهْدْ
وأنفاسُ حبّكَ دَفْأَى
تَوْشُكَ وَصْلاً يَنِيْعًا
وكاذيَّ بُشْرَى
وكأسَيْ حليبْ
كعَيني حبيبٍ تُناغي حبيبْ

مساءٌ يجوس دوارَ مساءْ
وشرفةُ صيفٍ
على الضّفتينِ
تسرحُ دِفْءَ صُدَيْرِيَّةٍ مِنْ غناءْ
كنَهْرٍ من الفُلِّ عَذْباً صقيلا
يخطُّ اشتهاءَ الثَّرَى باشتهاءْ
ويحتكرُ العُمْرَ جِيْلاً فجِيْلا

بِنَوٍّ كريمْ
من النار فينا
يُساقطُ كلّ سياجِ الحِجَا والتأسّي
وماءٍ عقيمْ
يُساقطُ فوقَ خدودِ الرِّمالِ دموعاً نخيلا
نخيلاً تَقَامَأَ حتى استحالَ
حروفَ اكتئابٍ كسالَى
وَعِذْقَيْ غَبَاءْ
أصيلاً وآخرَ يبدو جديدَ الجَناءْ
وبينهما نفحةُ الوَجْدِ فينا تَغْشَّى بِوَجْدْ
"عرايا" دخلنا إلى النائباتِ.. "عرايا" نعودْ
وأعيادُنا ملءُ هذا الوجودْ...
...

ودون الذي كانَ
والـــ "سيكونْ
من الانتظار سَمُوْمُ عُيُونْ
وبرقٌ ورَعْدْ
بموجِ الفصولِ الخؤونْ
بوقْتٍ ووَعْدْ

يقايض وَغْداً، ووَقْدْ
يقايض مِنْجَلْ
بنجلاءَ تمشي الهُوَيْنَى
وألفَ مُهَارٍ
بألفِ نهارٍ
يبيعكَ ماءً بِمنْخَلْ
وإنّ وأنّ
بربُّ وقَدْ
وكفًّا على الريحِ
تُلقي زِماماً
وتُؤوي إليها بَدَدْ
غدائرُ وقتكَ مستشزراتٌ
تضلّ المَدَارَى بها راتعاتٌ
بحُلْمٍ ووَهْمٍ وظُلْمٍ وحِقْدْ
وَدَعْ شِقْفَةَ الصَّبْرِ تَحْتَكُّ في لا مَحَكَّ
فجِلْدُ زمانكَ لم يَرَ هُدْبُ الصَّبَاحِ
مكاناً لقرحكَ فيهِ
ولا جِلْدَ كيما يُفَدَّى بِجِلْدْ

خَزَايا خَرَجْنا من النائباتِ.. خزايا نعودْ
وأحزانُنا ملءُ هذا الوُجُودْ
...

*

وليت الذين أَخَبُّوا
على وَقْعِ أوّلِ مَغْزَى
أَحَبُّوا كحُبِّكَ تفاحةَ الموتِ
في ثغرِ دهماءَ
نورةَ،
نوفاً،
عنوداً،
ومَجْدْ

هو الحُبُّ حُبُّكَ
وَصْلاً وهَجْراً
يُطِلُّ
على كلمات الزمان الشقية
عشقاً يظَلُّ
يهاجر بين حطامِ الموانئِ

شوقاً وشوكاً
وبَيْتاً وبَيْناً
وصَدْراً وصَدّْ

وماذا؟

ستشربُ نيزكَ قافيةٍ من نِصَالِ العَشَايا
لتُعْشِبَ في مقلتيكَ نيازكَ سُهْدْ
لشامٍ يَكُوْسُ جنوباً
وقبلةِ شَعْبٍ شمالاً تُهَدّْ
تُشَقّق ظلماءها بعيونِ الضحايا
الشهيدةِ فيها
تضيءُ حروفاً
تَرِفُّ صُروفاً
تسافر في جَسَدِ الصَّبَواتِ
لتَفْتَحَ في خاطرِ الموتِ باباً خَضِيْلا
يعارضُ تَيَّارَ نهرٍ صَبِيٍّ بتيّارِ نهرٍ جَمَدْ

وتحلفُ أنَّ غَداً في يديها

يمامةَ ذِكْرَى
وأزهارَ دِفْلَى
وفجراً صَبُوحاً
ولا بُدَّ ممّا غَدَا في يديها
ولا بُدَّ ممّا..
غَدَا وهْو غَدْ

*

ويُبْسَطُ صوتٌ من الذَّارياتِ
من الحاملاتِ
من الجارياتِ بما توعدون
يعانق صَمْتاً
تَوَكَّأَ ظَهْرَ النهارِ العجوزِ ـــ الولَدْ:

أعندكَ فَهْمٌ
أعندكَ رَدْ؟:

على أيّ شيءٍ تَقِرُّ القواعدُ
أين الطريقُ إلى حيث يسكن هذا الضياءُ
عيونَ الظباءِ

ويغمر بـــ "الله أكبرُ" غيظَ المساجدِ
واغبَشًا من طيورِ الأذانْ
تفجَّرَ "خيراً من النومِ"
"خيراً من اليومِ"
يوماً تصلّي وجوهُ عَروبة فيه بوجه الأحَدْ

فتبكي لأَيُّوبَ
في أرض عُوْصَ
شؤونُ المدائنِ
ناحتْ تُغَنّي
وملء غمامةِ فيها بملءِ غمامةِ فِيّ
على النَّصْبِ لحناً شبيهاً بلحني:

أعندكَ فهمٌ
أعندكَ رَدْ؟:

بصدركَ
أعناقُ نارِ الحِرارِ القديمةِ
دارتْ

تعانقُ في صفحاتِ صباحكَ
حبْرَ الجديدِ
وشمسَ الأَجَدّْ
تَخَطَّفُ في عَبْسَ داراً فدارا
وما إنْ لها خالدُ بنُ سِنَانْ

فيخضرُّ وَشْمُ التَّخالفِ
وَشْمُ التَّحالفِ
عاراً فعارا
بكلِّ غموضِ الجراحِ البَيَانْ
بسِنْخِ الأدِيْمِ
بجمر الوَرِيْدِ
بصرخةِ دمع الوَلِيْدِ
تَصلَّتْ خُطَاهُ برِمْضَايَ نارا

وأركضُ أركضُ
لا ماءَ في الأرضِ عندي
وما لي يدانْ
فمَنْ لي هنالكَ

مَنْ لي

بدمعة ماءٍ

ومَنْ لي بِيَدْ

ومَنْ لي

بأخدودِ هذا الزمانْ

ببردِ الخليلِ الوقودِ الأشَدّْ

وتُعْشِبُ أصداءُهُ

في عروقِ المكانْ

تُمَوْقِعُنِيْ في دخانِ التمنّي:

أعندكَ فَهْمٌ

أعندكَ وَهْمٌ

أعندكَ رَدْ؟:

أثَمَّةَ يَبْقَى بثوبِ الحريقِ قَمِيْصٌ وَقَدّ؟

يواري بعينكِ سَوْأةَ هذي الأثافي

القوافي

المنافي

أَيَبْقَى على الأُفْقِ ثَمَّةَ أُفْقٌ وَمَدّْ؟

وأَنَّى..

وهذا المدارُ رِتَاجٌ وحارسْ
تطيرُ النوارسْ

ويورقُ بَيْرَقْ؟!

(٣)

شاختَ عصايَ وشـــابَ الشـــوق فاتحَــدا

عُمْرَين ما غادرا في العُمْرِ مُلتحَدَا

شاءتَ على المـــوج آيـــات الزُّبـــى لبَثَــا

ليت الليالي انهوَتَ ــ ما أمَّلــت ــ قِصَــدَا

يبغيكَ، ما تبتغـــي مـــن طيْـــرِهِ، قـــنصٌ

رَدَّ البُـــزاةَ علـــى الرَّاميـــهِ مُنفــــرِدَا

قبل المغيبِ.. وَحَامَ القول بي ــ وَجِــلاً ــ

يـــا آفــل العُــذرِ فـــي عُــذرٍ غــدَا بَلــدَا

مـــاذا أراكَ، وإذ خاطـــتَ نـــواكَ دُجًـــى،

إنْ نحْت، ناحتَ سُــدًى، أو بُحــت مُفتئِــدا

أهجوكَ ــ يا نحنُ ــ أم تهجو؟!.. فلست سِوَى

مـــا خطّــــهُ القَــدَمُ المـــائيُّ، أو وَخَـــدَا

كل الذي في ذرَى صاريكَ صُغْت ضُـــحًى

يَهْفُـــوْ عليـــه جناحـــا جـــارحٍ رَصَـــدَا

لا يَسْلَمُ الوَشْيُ في كفيْـكَ.. فـــي لغتـــي..

أو تشـــتفي منـــه كـــأسٌ أترِعَـــت كمَـــدَا

قل لي بربِّكَ كـــم فـــي غمـــرةٍ سَـــقطت

أفعَـــى تمُـــدُّ لســـانَ المـــوتِ مُنجَـــرِدَا؟!

وأنت.. ما أنت؟!.. لا ركـــبٌ تعِـــزُّ بهـــمْ

ولســـت يـــا ســـندبادَ التيْـــهِ مُجْتهِـــدَا

أسْـــرَجْت بـــي دَقلـــيْ نـــاءٍ ومُنْتبَـــذٍ

يَنْـــأى كمقتـــربٍ يَـــدْنو كمَـــنْ بَعُـــدَا

نبِّئت وجهكَ فـــي التيّـــار لـــيس مَـــدًى،

نَبِّئْـــت أنّ دُوَارَ البَحْـــرِ قـــد حَشَـــدَا

وخِلْـــت ســـيفكَ كالإصـــباح مـــلءَ يـــدي

يُقْرِيْـــكَ أنّ صَـــبَاحَ الخيْـــرِ قـــد أفِـــدَا

فاعطف على مُحْتبَى مَوْجِ الزمـــانِ وَعُـــدْ

في كأســـكَ القَـــيْظ والأنـــواءُ فِـــيَّ، يَـــدَا!

تمْطِــرْ شــبابيكَ وَصْــلٍ أيْنَعَــتَ كَــدَمِيْ

فواكـــهَ الشَـــوْقِ للآتيـــكَ فيـــكَ غَـــدا

....

....

شـــابتَ عصـــايَ وشـــاخَ الطفـــل فاتقَــدَا

فاسألَ سؤال ضريرِ الرَّمْلِ: مـــا وَجَــدا؟!

....

**

(٤)

ـــ "لا..
ما لكَ من سجن التاريخ بصدركَ من مَنْجَى..
غيرَ السِّجْنِ!..
فلتتبعني!"
...
قال الوقتُ..
ومضى يَسْتَلُّ خَناجِرَهُ في صَدري

ـــ" هل تدري!
أيّ هوادج تحملها فيكَ الأيامْ؟!
أم أيّ ظعائنَ
أيّ طعائنَ
أيّ عظامْ!"

قال الوقتُ..

ومَضَى يَسْتَنُّ دياجيرَ الأقلامْ..
يُمْلِيْ:
ـ "اكتبْ أوردتيّ"

ها اكتبُ فاتحةَ النَّجْوَى
وأخطُّ على شفتيها نَوْرَسَةَ العنوانْ..
...

ـ "إن خانكَ وقتُكَ
فاكتبْهُ
تستيقظْ رائحةُ السَّلْوَى
وتَعُبُّكَ ذاكرةُ النسيانْ

اكْتُبْ ذا المَشْهَدَ
من دمِهِ
اكتبْهُ
حِرْزاً..
نقشاً بركانيّاً..
واحملْهُ.. كلؤلؤة الأعشى الزهراءِ

تعانقْ بوصلةَ الإيمانْ"

*

- "لا.. ليس مداكَ مَدَى الرُّؤْيا

لا.. ليس زمانكَ هيلمةَ الأحلامْ

حيث الطَّيفُ البودليريُّ

القنّاصُ ضُحىً نبضَ الأقدامْ

...

فاصعدْ وقتكْ!

سيفًا..

سيفًا

حرفاً..

حرفَا

قال الوقتُ..

ــ "كيما تجتاح بعمركَ عُمْراً آخَرَ

طفلاً ما

بكَ يجري فِيَّ بشارةَ بدءٍ

كي تجري بي فيكَ بشارةُ هذا الإنسانْ"

...

(٥)

ولقــد وهِلــتُ بــأنّ للمَسْــرَى يَــداً

بيضــاء تَهْمِــي ثــم تَحْمِــي مــا تُريــدُ

فلربمـــا صــبَحَتْكَ مـــا لا تشـــتهي

ولو اشــتهيتَ لفــاضَ بالكــأس الصُّــدُوْدُ

لو أنّ رَبِّي لــم يُفَجِّــر فــي الضــلو

عِ شموسَــها مــا بَــشّ بــالوَرْدِ الوَرِيْــدُ!

لـــو أنّ ربِّـــي لـــم يُلَـــوِّنْ بالطِّمـــا

حِ جناحَها مــا طــار بــالفَجْرِ الوُجُــوْدُ!

لو أنّ ربّــي لــم يُــدِرْ بَــيْنَ الزَّمــا

نِ وبينَـــهُ مـــن رحمـــةٍ جِسْـــراً يَـــذُوْدُ!

الرياض، ١٤١٩هـ.

***

مُكَاشَفَات أخِيْرَة في مَهَبِّ اللَّيل
(في ذكرى سقوط قرطبة.. غرناطة.. بغداد.. إلخ.. إلخ.. إلخ)

أطْفِـــئْ سُـــؤالكَ؛ مـــوجُ الليـــلِ مُعْتكِـــرُ

والفجـــرُ مـــرتهَنٌ، والوقـــت مُحْتكـــرُ!

والريحُ تشـــكو، يطيـــر الشـــجْوُ أغرِبَـــة

تطوي الفضاءَ، وســـال الـــنجمُ والقمَـــرُ!

أطْفِئْ سُؤالكَ؛ ما فـــي الشـــكِّ مـــن أفـــقٍ

إلى المســـيرِ، ولا فـــي الظـــنِّ مُختَبَـــرُ!

هـــذا المَـــوات تنـــامَى فـــي محاجرنـــا

حتى تنـــاهَى بنـــا فـــي عُمْـــرِهِ العُمُـــرُ!

يَسْـــتف فـــي هَبَـــواتِ الصَّـــحْوِ قهوتنـــا

كمـــا يُسَـــفُّ بمـــتنِ القفْـــرَةِ الأثـــرُ!

يَـــدُقَ فينـــا عمـــودَ البيـــتِ، مـــن يـــدنا

يبعثـــرُ الشـــمسَ، والآمـــاسَ يَأتسِـــرُ!

.. ..

أكلما اعشوشـــبَ العُـــودُ الحريـــرُ شـــذى

في الأغنياتِ تـــداعت عنـــدكَ الـــذكرُ؟!

فاستعبرتكَ غضًا، يهمي الحـــروف، علـــى

جـــرحِ الغـــزالِ ودربٍ خـــاذلٍ تـــزِرُ!

علـــى النخيـــلِ، تبكـــي كـــف غارسِـــها،

تغرَّبَـــت حِقبًـــا، واجتثهـــا الصَّـــبرُ!

ما شـــل كفـــكَ فـــي أقصَـــى مغارسِـــها

قد شـــل قلبـــكَ.. والـــدنيا هـــوًى غِيَـــرُ!

.. ..

مـــاذا تريـــدُ، ولـــونُ الصِّـــدْقِ منخطِـــفَ

في ناظريكَ، ولـــونُ الكِـــذْبِ مزدهِـــرُ؟!

مـــاذا تريـــدُ، مـــزاجُ الحِبْـــرِ، أســـئلةَ

غرْثـــى، وأجوبـــةَ كـــالقحْطِ ينتشِـــرُ؟!

مـــاذا تريـــدُ، مـــزاجُ الحِبْـــرِ لا لغـــةٌ

مـــن الحيـــاةِ، ولا دِيْـــمُ الحَيَـــا مَطَـــرُ؟!

يـــا مَـــنْ إذا أقرأتَـــكَ الـــريحُ يوسُـــفَها

أطبقَـــت فـــوق كتـــابِ الصَّـــدرِ تـــدَّكِرُ!

أطبقَـــت فـــوق شِـــفاهِ البئـــرِ تشـــربني؛

ماءُ الطَوَايَـــا دمـــي، يصـــفو ويَنَكـــدِرُ!

مـــاذا تريـــدُ، وكـــلُ الصـــافنات لهـــا،

من نخوةِ الخيلِ، ما يـــا أنـــت لا تفِـــرُ؟!

.. ..

أمِـــطْ قِناعَـــكَ! ثـــمّ احْلَـــمْ بمـــا خبَـــأت

لـــكَ العُـــذوق مـــن اللـــذاتِ تبْتَـــدِرُ!

واقرأ قضـــاءَكَ! يـــا مـــن كـــل جارحـــةٍ

فيكَ استدارت علـــى ليـــلٍ بهـــا الدُّسُـــرُ!

أنت القضاءُكَ! مـــا نامـــت لـــــهُ مُثُـــلُ،

على التـــراتِ، ولا عَيَّـــت بـــهِ البُكـــرُ!

كم ذا تُطـــابعُ فيــكَ الجُـــزْرُ جَازِرَهـــا؟!

هـــلا تطـــابَعُ فيمـــا بينـــكَ الجُــــزُرُ؟!

.. ..

مســـراكَ يحمـــل فـــي تابوتِـــهِ صُـــوَرا

خضْرَ الهَوَى، عُرُبًا، يا حبّــذا الصُّــوَرُ!

تبكيـــكَ فـــي سِـــرِّها، حَيّـــا ومَيِّتَـــة:

عارٌ عليــكَ دمـــي والســـمعُ والبَصَـــرُ!

روحُ الشـــــهيدِ تَـــــرَى غيـــداءَ فاتنـــــة

وروحُــكَ السَّــمْجُ يبقـــى فيــكَ ينتحِـــرُ!

لا فـــي الحيـــاة يُعَـــدُّ، إنْ شَـــبَا خبَـــرٌ

على الشــفاهِ، ولا فـــي المـــوتِ يُعْتبَـــرُ!

أعْجَزْت وصْفكَ: مـــاذا أنـــت فـــي سَـــفرٍ

تبْنى عليكَ لـــهُ مـــن عَظمِـــكَ الجُسُـــرُ؟!

وأنـــت فـــي شِـــيَةِ الثـــاوينَ منتفشـــا

نفــش الحُبـــارَى جَناحـــا هَـــدَّهُ الـــذعُرُ!

إنْ صـــال بـــازٌ علـــى أُمِّ البُغَـــاثِ، نَـــزَا

فرخ البُغـــاثِ علـــى الأفـــراخِ يَنتَسِـــرُ!

أو جارَ رَبُّ الجِوَارِ الغصْـــبِ فـــي بَلَـــدٍ،

سَرَى الهُمَـــامُ علـــى الجـــاراتِ يَنْتَئِـــرُ!

مـــا هـــان يومـــا علـــى الـــدنيا وآهلِهـــا

كمـــنْ يهـــونُ وفيـــه الأرضُ والبَشَـــرُ!

ولا استراحَ علـــى رَأدِ الزمـــانِ ضُـــحًى

من اســـتراحَ وســـارتْ دونـــهُ السِّـــيَرُ!

....

أعربْ لهاتـــكَ أو أعْجِـــمْ، فقـــد هرمـــتْ

كـــلُّ القناديـــلِ، لا زيـــتٌ ولا شَـــرَرُ!

لا النثرُ يَبْعَـــث فـــي الأجـــداثِ منتفِضـــاً

مـــن التـــراب، ولا ذا الشِّـــعْرُ والعِبَـــرُ!

عَمِّـــدْ لســـانكَ، أو حَـــرِّرْ، فمـــا لغـــةٌ

عـــادتْ لهـــا شِـــيَمُ الأعـــرابِ تنكسِـــرُ!

لا تلتفــتْ أبــداً؛ قِطْــعُ السُّــرَى حَجَــرٌ،

يَحْصبْكَ منهُ لســانٌ، أو يُصِــبْ نظَــرُ!

حَصِّنْ حصانكَ، لا هــانَ الخيــول! غــدا

يأتيـــــك دورُكَ؛ فـــــالجزّارُ ينتظِـــــرُ!

.. ..

لكنهـــا ثـــورة التكـــوينِ فـــي جســـدي،

كـــم تســـتفيق، وتعلـــو حولهـــا السُّـــوَرُ!

ألـــيس منـــكَ لنـــا حُلُـــمٌ يصـــافِحُنا،

إلا الفنـــاءُ، وإلا النـــوْحُ والكـــدَرُ؟!

كـــل الهـــزائمِ، فـــي أوْهَـــى بيارقِهـــا،

هزيمة الـــذاتِ، مـــا دارتْ بهـــا الفِكَـــرُ!

.. ..

ماذا تقول.. متى؟.. مَـــل القصـــيدُ، ومـــا

عاد الطريق علـــى التسْـــيارِ يَصْـــطبِرُ!

هذا خطابُكَ فـــي الصـــيفِ العتيـــقِ، لكَـــمْ

صـــافتْ ســـنابل ليـــلٍ مِلؤهـــا تتـــرُ!

يا حاديَ العِــيْسِ.. هــذي عِيْشُــنا بَلِيَــتْ

من الــدُّوَارِ علـــى الأعْصَـــارِ تعتصـــرُ!

يا حاديَ العِــيْسِ.. إنـــي لا أرَى!، وأرَى

في صـــوتكَ الآل، يَطفــو ثــمّ يَنحَــدِرُ!

مـــاذا تقــول تــرَى: "إنّ المَــدَى زَبَــدٌ،

والـــدربُ مبتســمٌ، والغيـــث مُنهمِــرُ؟!"

مـــــاذا أقـــول أنـــا: "إنّ الســـيوف دمٌ،

والعِرْضُ لؤلــؤةٌ، والجــيش منتصـــرُ؟!"

ماذا أقــول هنـــا، إنْ شــئت قلــت إذن:

"لن يأتيَ الــدَّوْرُ والجــزّارُ يحتضـــرُ"..

لكـــنَّ مـــن خلفـــهِ ألفـــا علـــى كتِفـــي؛

ما دُمْت نحــنُ فمـــا للجــزرِ مزدجَــرُ!

.. ..

لمْلِـــمْ شـــتاتكَ!؛ وجـــهُ الليـــلِ معتكِـــرُ،

والصُّـــبْحُ مُـــرْتهَنٌ، والوقـــت مُحْتكَـــرُ!

واقرأْ قضـــاءَكَ! يـــا مَـــنْ كـــلُّ جارحـــةٍ

فيك استطارتْ على فجـــرٍ بهـــا الدُّسُـــرُ!

قـــد هـــان جِـــدّا علـــى الـــدنيا وآهلهـــا

من هان يومـــا وفيـــه الأرضُ والبَشَـــرُ!

مســـــتفعلنْ فـــاعلنْ مســـــتفعلنْ فعلـــــنْ

مســـــتفعلنْ فـــاعلنْ مســـــتفعلنْ فعلـــــنْ

....

....

قمْ فالتقطكَ ــ فتى ــ واضربْ سبيلكَ، قمْ!

نوْءُ السِّـــنين بنـــوْضِ الشـــوْقِ يَسْـــتعِرُ!

قمْ فالتقطكَ؛ أســـاطير الـــرؤى التحمـــت

بنـــــافِرِ الـــــدَّمِ: ترْفـــــوْهُ ويَشْـــــتجِرُ!

قمْ، أيها الماردُ، استخرجْ خطـــاكَ، وقـــل:

"في وجهِ هذا الســـوادِ البحـــرُ والسَّـــفرُ!"

....

....

يا قرْطَبيــات مــا يــأتي، أتيْــت غــدا،

ولــم أجِــدْكِ، ســآتيْ والهَــوَى بَصَــرُ!

يا أيها المسجدُ الأقصَــى: الســلامُ دَنــا؛

فادخلْ، عليكَ ســلامُ الله، يــا عُمَــرُ!...

الرياض، ١٩٩٨/١/١

***

مُهْرةُ الشَّمس

علـــى شَـــفَةِ النـــور أشّـــعلّتِ غيَّـــا

يعيـــدُ مجاليـــكِ شَـــدْواَ وضـــيَّا

يضـــمُّكِ رابيـــةَ مـــن أغـــانٍ

ويجثـــو علـــى ركبتيـــكِ مَليّـــا

يفـــتّش أوراقَ شِـــعري لـــديكِ

لأقـــرأ فجـــراَ تَعَـــرَّى شَـــهِيّا

يـــدير شـــذاه علـــى بـــاب روحـــي

فـــإني أراهُ حقـــولاَ وريّـــا

وإنـــي أراهُ بعُمْـــري يَلَـــوبُ

يطـــوّقَ شِـــعري حروفـــاَ قِسِـــيّا

*** ***

حبيبــــةَ شــــعري أبينــــي، حـــــرامٌ،

أبينــــي، فمــــا كنــــتَ يومــــاً نبيّـــا

لأعلــــم فـــــي أيّ نجــــمٍ هطلّــــتِ

وأيّ عيــــــون المَهَــــــا يَتَفَيّـــــــا

ومـــا كـــان عمـــري ســـوى مقلتيـــكِ(م)

وهـــل كنـــتِ أنـــت ســـوى مقلتيّـــا!

ومــــا كنــــتِ إلاّ انفــــلاتَ الحدائـــــ

ـــــق، روحـــاً ثَريّـــاً، ونـــوراً نـــدِيّا

وإنســـانةَ مـــن هُجُـــوعِ المرايـــا(م)

تفتّـــــق أفْقـــــاً وليـــــداً جَنِيّـــــا

يَليـــقَ بســـيّدةٍ مـــن نَضـــارِ الـــــ

ــــــمعاني تصــــوغَ الـــذكاءَ حُليّـــا

كمُهــــرة شـــــمسٍ تَثيــــرُ العشـــايا

وتَعْنـــــو بعمـــــري نهـــــاراً فَتِيّـــا

كفاكهـــــةٍ مـــــن لَعـــــابِ الخطايـــــا

تضـــــــمُّ فتـــــــاةَ تضـــــــمُّ صـــــــبيّا

رأيتـــــكِ وَعْـــــداً علـــــى شـــــفتيها

يُنَمْـــــنِمُ وجْـــــداً علـــــى شـــــفتيّا

بياضـــاً مـــن الغيـــبِ يغشـــى مَـــداهُ

مَـــدى اللـــونِ، واللحـــنِ، منّـــي، وفِيّـــا

*** ***

فيـــا أنـــتِ، يـــا كَـــلّ قَطْـــر الـــدَّوالي

وكـــــلّ المُجلّـــــى وكـــــلّ المُزيّـــــا

رُهَابُـــــكِ يجتـــــاحُ منّـــــي زمـــــاني

يُبعثـــرُ فـــي لغتـــي مـــا تَهَيّـــا

فأرتـــــدّ طفـــــلاً علـــــى راحتيـــــكِ

تَعيـــــدين فـــــي مُقلتيـــــه الحُميّـــــا

تعيـــــدينَ تكوينـــــهُ مـــــن جديـــــدٍ

كـــأنْ لـــيس مـــن قبْـــلَ قـــد كـــان شـــيّا

تـــربّين فـــي رئتيـــه انتفـــاض الصـــــ(م)

ـــــــباحات، صـــــوتاً حنونـــــاً، جريّـــــا

يطــــلّ علـــــى صـــــفحةِ القلــــبِ عَمْـــداً

ويمشـــــي علـــــى نَهْـــرِ مـــــوتي، بَرِيّـــــا

فأعــــدو، حِصـــــاناً أصـــــيلاً، وأغـــــدو

إلـــــى فجـــــر أمســـــي، إليــــكِ، إلَيّـــــا

*** ***

فمَـــن أنـــتِ، يـــا شَـــهْدَ عشـــقي ونـــاري؟

لكَـــمْ كنـــــتَ فيــــكِ السَّـــعيدَ الشّـــقيَّا!

تـــــرومين تحطـــــيمَ كـــــلَّ حُـــــدودي

وتبغـــــينَ جَعْـــــلَ المُحَـــــالِ يـــــديَّا

أراكِ.. كـــــــأني أراكِ.. ولكـــــــنْ

لمـــــاذا تَغطَـــــينَ وجْهـــــاً جَلِيّـــــا؟

كوجــــهِ فلســـطينَ وجْهُـــكِ، يخْمـــشَ (م)

عينـــــي، قريبـــــاً، بعيـــــداً، لــــــديّا

رهــــينَ المحـــــابس، ذئبـــا تمــــادَى

ودارا بواحـــــــا، وأمّـــــــا بغيّـــــــا

و"أزلام" عَهْــــــدٍ شـــــكول النوايــــــا،

تهُــــــبّ كلامـــــا، وتعــــدو جثِيّـــــا

سُــــهيليّة فــــي هواهـــا، فمـــن لـــي،

بغيـــــر هواهـــــا، ثـــــرًى أو ثريّـــــا؟

أشــــبّهُ بعضـــــي ببعضــــي، لأنـــــي

أراكِ ككلــــــي، مســــــاءً شــــــجيّا

*** ***

أتفاحــــــة الحُلـــــمِ، وقتـــــي هبـــــاءٌ

وأنـــــتِ هنالـــــكِ، وقتـــــا بهيّـــــا

متـــى فيـــكِ يفنـــى الســـؤال، ليحيـــا

جـــــوابُ الأنوثــــةِ فــــي سَـــــويّا؟

فكلــــي انتظـــارُكِ، أسْـــندْت ظهـــري

جِـــــدارَ الليـــالي العجـــوزَ القميّـــا

وكلــــي انتظـــاري، وينهـــدّ ظهْـــري

وظهْـــــرُ الجِـــــدارِ يظـــــل عَصــــيّا

أُسَـــــجّل مـــــن خَلَـــــدِ الأمنيــــاتِ

علـــــى خلـــد الأفعــــوان المُهَيّـــــا

أخطـــكِ: مــــا لــــم تقلــــه القـــوافي

وأمحــــوكِ: ديــــوانَ شِــــعْرٍ غبيّـــــا

لأنـــــكِ رُغـــــمَ يقينـــــي وشـــــكي

تتـــــامينَ فـــــيَّ: صــــلاةً.. كمِيّـــــا

أشــــمّكِ: فاغيــــة مــــن ســــلامٍ

وأشـــجاكِ: موتـــا رهيفـــا شـــذيّا

طليطِلـــــة فـــي تفاصـــيلِ صـــوتي

تغنيـــكِ شـــوقي، هَـــوًى بابليّـــــا

تـــــدورين منـــــي مـــــدارَ انتمـــائي

جناحـــــاكِ مــــاءٌ تهمًّـــــى هَنِيّــــا

فيـــا مســـجدي أنـــتِ، أقصـــاكِ فـــيّ

وأقصـــــايَ فيــــكِ، كليمــــا قصِـــيّا

تطلــينَ يومـــا علـــى سَـــطحِ شِـــعْري؟

كمـــا كنـــتِ، وعـــدا ســـخيّا وفِيَّـــا؟

*** ***

أَجـــل، حـــينَ تـــورق فيـــكَ الخيـــول

حروفـــا عِتاقـــا وحـــــرّا أَبيَّـــا

أَجـــل، حـــينَ تنسَـــى الجـــدارَ العَجُـــوزَ

وتمضــــي إلـــيَّ.. إلـــيَّ.. إليَّـــا

أَجـــل، حـــينَ تحيـــا صـــديقا ليـــومي

.. صـــديقا لحُلمـــي.. بأَمســـي حَفِيَّـــا

*** ***

حبيبـــة شـــعري، ســـلامٌ عليـــكِ

.. إليـــكِ أَتيـــت.. سَـــلامٌ عليَّـــا

فيـــا ليتنـــي قبـــل قـــد كنـــت مَيْتـــا

ويـــا ليتنـــي منـــكِ لـــم أَبْـــق حَيَّـــا

لقـــد يجمـــع الله كـــل المنايـــا

وكـــل الحيـــاةِ لنـــا فـــي مُحَيَّـــا

الرياض، ٢٠٠٢

***

أميرة الماء

مَوْجٌ على مَوْجِ الهَوَى يَتَكَسَّرُ

ومدًى يسافرُ في مَدَاهُ ويُبْحِرُ

والبحرُ أيّامي، تَخِبُّ خيولَها،

أسَفاً يروحُ، وبهجةَ تَتَمَطّرُ

كَلّ الذين رأوكَ في حَدَقِ الصُّوَى

بَصُروا بعشقكَ، إنما لم يُبصروا

بَصُروا بأنَّ أميرةَ الماءِ التي

وهَبَتّكَ نَوْأَكَ أمْرُها لا يُقْهَرُ!

المغربُ الأقصَى على أهدابها

شَرْقٌ، يَزُفّ جَنَاهُ طَرْفٌ أَحْوَرُ!

من صَــقْرَ فَوْدَيْهــا إلــى عُشْــبِ الفَــلا

خِشّـــفانِ، حَفّهُمـــا الفَتَـــوْنُ الأكبـــرُ

وعلـــى نـــوارسِ رُكّبَتَيْهـــا رَفّرَفَـــتّ

أشـــواقَ أيّـــامي، ومَـــارَ المَرْمـــرُ!

ولهـــا علـــى أُفَـــقِ الزمـــانِ تَوَقّـــدٌ

ولهـــا علـــى أُفَـــقِ المكـــانِ تَعَثّـــرُ

يَتَبَـــدَّدُ التـــاريخَ فـــي بيـــدائها

وإذا أردتّ، فهْـــو عَبْـــدٌ مُحْضَـــرُ!

أينعـــتَ مـــن رغـــمِ الثّـــرَى بمفـــازتي،

هَتَفَـــتّ بـــهِ، فحـــواهُ فجـــرٌ أخّضَـــرُ!

لِتَلَفّـــهُ مـــن دفئهـــا بمُطَهَّـــمٍ ــ

سَـــعَفَ الأصـــائلِ ســـاعِداهُ ــ وتَبْـــذَرُ

تَسْـــهُو علـــى ولَـــهٍ مشـــاعلَ وَجْـــدِها

الصُّوفيِّ، أو يصحو الحضـــورُ المُزْهِـــرُ

عَــرَفَ انهمـــارَ الـــدهْرِ مـــن أعطافهـــا

فسَـــقَتّهُ، لا يَصْـــحُو ولا هُـــوَ يَسْـــكَرُ!

*** ***

يـــا أيهـــا الأنثـــى التـــي حملـــت "زمـــا

نَ الوَصْـــلِ" طِفّـــلاَ، أيـــنَ منـــكِ تَنَكّـــرُ؟

غـــــادرتّنِي نَهْـــــبَ القصـــــائدِ والـــــرُّؤى

متجـــــــاذَبٌ، متـــــــــداوَلٌ، متبعثِـــــــرُ

أَهْمِـــي حنينـــاَ فـــي ثـــراكِ، وأَنْثَنِـــي،

مـــن فَـــرْطِ مـــا بـــي، هائمـــاَ يَتَفَكّـــرُ

تلك التـــي ظَمِئَتّـــكَ قـــد أَظْمَتّـــكَ، والـــ

أبـــدُ انتهـــى، والمـــاءُ مَعْنَـــى مُضْـــمَرُ!

أفَهكــــــذا عشـــــــقيكِ يَبْقَـــــى جَـــــذْوَةَ

في الـــرُّوْحِ، تَخْبُـــو تـــارةَ أو تَظْهَـــرُ؟!

*** ***

كـــم قلـــتَ يومـــاَ، والهـــواءُ غلائـــلٌ

بِـــيْضٌ، وطـــارَ بنـــا جَنـــاحٌ أَشْـــقَرُ:

يـــا نخلــــةَ اللهِ التـــي أشـــداؤها

رُطَـــبُ الحيـــاةِ وظِلّهـــا المُتَهَصِّـــرُ!

هُـــزّي بجـــذعي، إننـــي لـــكِ جـــائعٌ،

وتســـــاقَطي كمَجَـــــرَّةٍ تَتَكَـــــوَّرُ!

أهْـــدِيْكِ رايـــاتي، شـــراعاً مِـــنْ دَمـــي،

وخيوطَهـــا مـــن مُهجتـــي تَتَحَـــدَّرُ!

يَهْنِيْـــكِ منهـــا خامـــةٌ مـــن غَيْمِهـــا

ليَعِيْـــثَ فيهـــا ذا البَهـــاءُ المُبْهِـــرُ!

وخُـــذي بأعنـــاقِ الشـــعاراتِ التـــي

قَضَـــمَتْ بجســـمي أمَّـــةً لا تَشْـــعُرُ!

هـــذي فلســـطينُ كـــأطولِ كِذْبَـــةٍ

تاريخُهـــا عَـــرَبٌ تقـــولُ وتَكْفَـــرُ!

والمســـــلمون مســـــابِحٌ ومَبـــــاخِرٌ

أمَـــمٌ هنالـــك كـــمْ تَنَـــامُ وتَجْـــأَرُ!

بغــــدادُ فـــي "قِلْـــمِ العُرُوْبَـــةِ" أَحْرِقَـــتْ

والمُخرجـــــانِ "تَـــأَمْرُكٌ" و"تَـــدَوْلَرُ"!

وتَجَشّـــأَ الأعــــرابُ.. أمريكـــا علـــى

أكتـــافِهِمْ بالــــتّ.. وبــــانَ المَخْبَـــرُ!

الراضـــعون بثـــديها.. هـــل فَوجئـــوا؟

فـــ "حضـــارةَ الأبقـــارِ" مِـــنْهُمْ أَبْقَـــرُ!

هُـــزِّي إليـــك بجِـــذْعِها، يَلِـــدُ الضُّـــحَى

طِفْلَـــيْنِ: طِفْـــلاً بالأَرُوْمَـــةِ يَجْـــدُرُ

والآخـــرُ الطَفْـــلُ الـــذي فـــي خـــاطري

مـــن أَلْـــفِ عـــامٍ فِكْـــرَةٌ لا تَكْبُـــرُ!

*** ***

يا أنتِ.. يـــا نحـــنُ.. ومـــا يبقَـــى علـــى

كَـــفَ الزَّمـــانِ بطقسِـــنا، يـــا بَيْـــدَرُ!

أدري بأنـــكِ فـــي مخاضِـــكِ، بينمـــا

أهلـــوكِ حولَـــكِ، هـــازئٌ، أو مُنْكِـــرُ!

أدري بأنـــــكِ حُــــــرَّةٌ، وأســــــيرةٌ،

ولـــــكِ الجمـــوعُ بأَسْـــرِها تَسْتَأْسِـــرُ!

أدري بــــــإطْراقِ الجَـــــوادِ إذا كَبَــــــا

أو بـــــاختلاجِ القلـــبِ إمّـــا يُكْسَـــــرُ!

*** ***

ولقـــد علمـــتِ بـــأنّ قلبـــكِ دانَـــةٌ،

أغلَـــى مـــن الأغلَـــى عَلَـــيَّ، وأَنْضَـــرُ!

لكـــنّ عنـــوانَ الأنوثـــةِ مشّـــمِسٌ،

أَبَـــداً، وعنـــوانَ الـــذّكورةِ مُقْمِـــرُ!

عنـــوانُ لحظَيـــكِ مقاتـــلَ مهجتـــي،

لو كـــان بـــي غيـــري، وبـــئس تَعَـــذّرُ!

تلـــكَ التـــي قتلـــتْ فـــؤادكَ أبْـــدَعَتْ

قَتّالهـــــا، ولكـــــلَ آتٍ مَصْـــــدَرُ!

فتَحَـــرَّرِي مِنَـــي، فمِنّـــكِ بـــدايتي،

ولتغفـــري حُبِّـــي، فمِثْلَـــكِ يَغْفِـــرُ!

لا يقــرأ اللغـــةَ الوَلْــودَ سِــوَى الـــذي

يحيــا الأمومـــةَ، كـــلُ أمٍ تصْـــبِرُ!

وأنــــا هنــــا ببياضِــــها مُتوَسِّـــمٌ

وَجْـــهَ الشَــروقِ، بسِــفرِهِ مُسْتبْصِـــرُ

لا تنـــدمي، لا تحلمـــي، واســـتقبلي

أمســـي، وبـــابُ الوَعْـدِ صُــبْحٌ مُثمِــرُ!

*** ***

تـــدرين مـــا قــرأتَ أنامـــل ســاعتي

فـــي وجهِـكِ الـذاوِي، وبَــرْدٌ يَصْــفرُ؟

بيتـــين لفهمـــا الغمـــوضُ بهـــامتي،

نعَبَــا، وهـــذا الكـــونُ ليـــلَ مُغْـــدِرُ:

"إنْ لم يكن لكَ منــكَ طِــبٌّ فــي الهــوى

فطبيبُـــكَ المـــوت الـــذي لا تحْـــذرُ!

لـــولا دمـــاءُ المـــوتِ فـــي مُهْـــجِ الحَيــا

مــا أخصَــبَ المــاءَ المــوات المقفــرُ!"

*** ***

يـــا غيمـــة الفصـــلِ الأخيـــرِ، تمهّلـــي

فشـــــفاهُنا مـــــن حَلَمَتَيْـــــكِ الكـــــوْثرُ!

تتفتـــت الـــذكرَى الحَـــرُوْنُ براحتـــي

فأشَـــمُّ منهـــا أنجُمـــا تتحَـــرَّرُ!

غزَلَـــت بُـــرادَة ذكريـــاتي غـــادة

ضـــوئيّة، تتهـــارُ فيهـــا الأعْصُـــرُ!

تتنـــــابني رَيَّانـــــة بجُموحِهـــــا

لتـــروحَ منـــي ثـــوْرَة أو تبْكِـــرُ

ســـأظل أرْنـــوْ ظامِئـــا لجَهَامِهـــا،

لا مُقشِـــعا عَنـــي، ولا هُـــوَ يُمْطِـــرُ!

قَـــدَري أحِبُّـــكِ أنـــتِ، يـــا فتـــانتي،

مـــن ذا علـــى قـــدَرِ المَحَبَّـــةِ يَقـــدِرُ!

كمْ ــ كالفراشِ ــ نمُـــوت فـــي أضْـــدادِنا!

والحُـــبُّ بَعْـــدَ عـــدَاوةٍ هُـــوَ أشـــعَرُ!

البحرين، شوال ١٤٢٣ هـ.

***

أقْرَأُ نقْشاً على باب أخرى المُدُن!

يَسْتَبدُّ العِشْقُ

يا ساكني

يا وطني

بالثَّرى غَضّاً

على فائضٍ من

كَفَني!

... ...

لا تَرُدُّوا التُّرْبَ

في

خافقي

بعضُ دَمِيْ

لم تَزَلْ جَذْوتُهُ

تَتَهَجَّى بَدَني!

لا تَرُدُّوا التُّرْبَ
لي
في الأَعالي
قَمَرٌ
أَتَقَرّاهُ
على
بابِ أخرى المُدُنِ!
لا تَرُدُّوا التُّرْبَ
ما طَفِئَتْ
نفسي
ولا رَوِيَتْ
بَعْدُ
على ظامئِ الوَعْدِ
جَنِي!

***

ما الذي أَعْجَلَهُمْ
كفَّنوني؟
ما الذي
غَيْرهُمْ قد كَفَّنُوا؟
كُلُّهُمْ في كَفَني!

لِيَكُنْ
أَنَّهُمُ قد مَضَوا بي
أَمَمِي
سوف تصحو نَخْلَةٌ
فِيَّ
تُحْيِيْ زَمَنِي
ببكاراتِ اللُّغَى
ببقايا عَلَمي
من عِظامي هذهِ
سوف أَبْني
سُفُني

***

لِيَكُنْ
أَنَّ بَنِيْ أُمِّنا
ما حفِظوا
سُنَّةَ اللهِ
ولم يعلموا
ما سُنَنِي
فغداً

حين تَدُوْرُ طيوراً
نسَمَي
وغداً
حين تُرى بهجتي
في فَنَني
سيتوبونَ إذا
شُبْهَةُ الموتِ
عَنَتْ،
إخوتي
عن وَأدِهِمْ
وطني
في وطني!

الرياض، ١٦/١١/١٤١٦هـ.

***

صباح الوطن!

صـــباح القـــوافي.. صـــباح الـــوَطَنْ

صـــباح الخيـــولِ /السّـــيُوْلِ/ الهَـــتَنْ

صـــباحات بِيْـــدٍ عَـــرِقْنَ طَـــوِيْلاَ

لِيَنْبُـــتَ بَعْـــدَ المِطَـــالِ الـــزَّمَنْ

وجُعْـــنَ.. حَفِـــيْنَ.. عَـــرِيْنَ.. انتظـــاراَ

لتَـــورِقَ مـــن جِلْـــدِهِنَّ المُـــدُنْ

تَمُـــرُّ اللّيـــالي بِغَيْـــرِ النّيَـــالٍ

علـــيهِنَّ مَـــرَّ الجَهـــامِ الحـــزنْ

زَمانـــاَ يَـــدُوْرُ.. زمانـــاَ.. وجِـــيْلاَ

بجِيْـــلٍ.. رحـــيْلاَ.. رَحًـــى مـــن فِـــتَنْ

تَمُوتُ الحيــاةُ وتَحْيــا.. وهــذي الــــ

ـــــــفلاة فنـــــاءُ الحيــــاةِ الــــيَفنْ

إذا الـــرِّيْحُ هَبَّـــت شــــمالا تمَطـــت

ريـــــاحُ الشـــــمَالِ بـــــرِيْحِ الإِحَــــنْ

وإنْ هَبَّـــــتِ الـــــرِّيْحُ ذات الجَنــــوبِ

تنهَّـــــدَتِ الـــــرِّيْحُ بَــــرْدَ الشــــجَنْ

وإمَّـــا الصَّـــبا عانقتهـــا الـــدَّبُوْرُ

تـــدافعَ كــــأسُ الثـــرَى وارْجَحَــــنْ

زمانـــا.. زمانـــا.. وتـــابَ الزمـــانُ

وثـــابَ وليـــدا غضِـــيْضَ الغضَـــنْ

***

وُلِــدْنا كمـــا يُوْلَـــدُ النـــاسُ لمَّـــا

أرَدْنـــا الحيـــاة حيـــاة.. ومَـــنْ

يُرِدْهــــا حيــــاة، تـــــرِدْهُ، كمــــا

يُعاتِــــبُ يُــــبْسَ السَّـــماءِ الفـــنَنْ

***

أتـــى ذاتَ صَــــحْوٍ جَـــوَادٌ أتانـــا

بوَعْـــدٍ كوَعْـــدِ المُـــزُوْنِ انهَـــتَنْ

فـــدارتْ خيُـــول القبيلـــةِ نهـــدا

منَ الضَّـوْءِ عَبْـل الخطـى والرَّسَـنْ

يَمُـــدُّ جَناحَيْـــهِ شـــرْقا وغرْبـــا..

إلـــى الشـــامِ طـــوْرا وطـــوْرا يَمَـــنْ

يُســـــافِرُ فـــــي ذاتِـــــهِ يَسْـــــتبيها

ومنـــــهُ إليـــــهِ يُسَـــــاق الـــــثمَنْ

تعَـــرَّف فـــي رِحْلـــةِ المُســـتحيْلِ

بـــأنَّ المطايـــا ثـــرَى مَـــنْ ظعَـــنْ

وأنَّ الســــماءَ لِمَـــــنْ يَحْتبِيْهـــــا

وأنَّ شـــظايا الـــدِّيَارِ السَّـــكنْ

وأنَّ التشـــــرْذمَ وَلـــــى وأزْرَى

بِعِـــبْءِ السِّـــنِيْنِ جَحِـــيْمُ الكفَـــنْ

ترَبَّـــــعَ فارسُـــــها ناظرِيْهـــــا

فغـــاضَ ظماهـــا وفـــاضَ العَطـــنْ

تَرَبَّـــــعَ فارسُـــــها صَـــــهْوَتَيْها

فصــــارَ الحِصــــانَ ومـــاءَ الـــوَطَنْ

كــــذاك المَـــوَاطِنُ تبْنَـــى غِمَـــارا

بِــــرغمِ المَنايـــا وطمْـــيِ المِحَـــنْ

***

علــــى ســـــاعِدَيْهَا نلـــفُ صِبــــانا

لتبْقَـــى الصَّـــفاءَ تحَـــدَّى الأسَـــنْ

نحَـــــوِّرُ فجْـــــرا سَـــــنا مُقلتيْهـــــا

بمــــاءِ القلـــوبِ /البَيَـــاضِ/ اللَـــبَنْ

لتحْيَا انتِفاضا.. فتـــى.. لـــيس يَرْضَـــى

مَـــوَاطِئ غيْـــرَ الـــذرَى أو سَـــنَنْ

وإلا.. فيـــا ضَـــيْعَةَ الـــزَّرْعِ.. إمَّـــا

يُسَـــــنبِل نـــــارا وجُوْعـــــا وأنْ

***

صـــباح القـــوافي.. صَـــهِيْل الـــوَطَنْ

صـــباحات خيْـــلٍ.. وسَـــيْفٍ.. وفـــنْ

صــــباحات بِيْـــدٍ عَـــرِقْنَ طَـــوِيْلاَ

لِيَنْبُـــــتَ بَعْـــــدَ المِطَـــــالِ الـــــزَّمَنْ

... لِيَنْبُتَ بَعْدَ المِطَالِ الزَّمَنْ!

الرياض، ١٩٩٥

***

جُبَرْ... و ١٠٠ عامٍ من المَطَرْ

(قصيدة المئوية، ألقيت بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية)

في داعِجاتِ اللّيـــاليْ اسْـــتَرْوَحَ العُمُـــرُ

وَجْـــهَ المَعـــانيْ فَغَـــامَ السَّـــمْعُ والبَصَـــرُ

يَرُبُّنِيْ فـــي ابْتِـــداءاتِ الـــرُّؤى وَجَـــلٌ

ويَزْدَهِيْنِـــيَ فـــي أُمِّ الـــدُّجَى سَـــمَرُ

يُعِيْـــدُنِيْ فـــي دَمِ الأَيَّـــامِ آوِنَـــةَ

ويَنْتَضِـــيْنِيْ أَوانـــاً حِـــيْنَ يَنْهَمِـــرُ

يَشَـــدُّ فـــي جَبِـــيْنَ الوَقّـــتِ، مِـــنْ يَـــدِهِ

أَعُـــبُّ مـــاءَ القَـــوافي مـــا بِـــهِ كَـــدَرُ

أَسْرَتْ خَطَــاهُ بِطَرْفِــيْ والــدُّنَى لَجَــجٌ

حَتّــــى تَــــبَلّجَ دَرْبِـــــيْ والخَطَــــى شَــــرَرُ

مـــا كــانَ مِنّـــهُ ومِنَـــي غَيْــرُ رَاحِلَـــةٍ

مِــــنَ الخَيَـــالِ تخـــــبُّ ثَــــمَّ تَنّكَــــدِرُ

*** ***

مَنْ أَنْتَ؟ ــ قُلْتَ ــ وفي صوتي انْحَنَتْ شَعَفٌ

مِنَ الجِبَالِ تَحُــثُ الشّــوْقَ: مـــا الخَبَــرُ؟!

ماذا هُنَاكَ!، لماذا الشّــمْسُ فـــي خَفَــرٍ

تَغَفّغِــــفَ اليـــــومَ كالعـــــذراءِ تَنّكَسِــــرُ

وكانـــــتِ الأَمْــــسَ نِيْرانـــــاً وغاشِـــيَةً

كـــمْ أَمْطَرتْــكَ رُعــافَ الجَمْــرِ يَنْثَجِــرُ

ولِمْ أَرَى عَجَبــاً فيــكَ الضُّــحَى ولَـــهُ

مباســـــمٌ تَهَــــبُ التّفّـــــاحَ.. تَعْتَصِــــرُ

إِنَـــي عَرَفْتَــكَ لا تَلْــوِيْ علـــى فَــرَحٍ

إِلاّ يُنَغَصُــــــهُ فـــــي وَجْهِــــكَ الكَــــدَرُ

إِنِّـــي عَرَفْتُـــكَ جَـــوَّابَ الفَضَـــاءِ علـــى

ســـاقَيْنِ مِـــنْ تَعَـــبٍ أَزْرَى بهـــا السَّـــفَرُ

إِنِّـــي عَرَفْتَـــكَ قَبْـــلَ اليَـــوْمِ تَعْرِفَنِـــي

فَتَنْثَنِـــي خَجَـــلاً أَنْ مَسَّـــكَ الضَّـــرَرُ

وتَبْتَغِـــيْ جَاهِـــداً فـــي السُّـــوْقِ مُـــدَّخَلاً

أَنْ لا تـــراكَ عُيُـــونُ السُّـــوقِ، يـــا جُبَـــرُ

مـــا هـــذه النَقْلَـــةَ النَّوْعِيَّـــةَ التَحَفَـــتْ

في شَـــمْلَتَيْكَ، ففيـــكَ البَـــدْوُ والحَضَـــرُ؟!

يـــا أيُّهـــا الشَّـــبَحُ الـــذِّكْرَى أَمَـــا خَبَـــرُ

عمَّـــا بَـــراكَ جديـــداً حـــينَ تَـــذَّكَرُ؟

قَلِّ.. غَنِّ.. إِنِّي وَهَبْتَ السَّمْعَ ضَوْءَ دَمِيْ،

مَـــنْ ذا يَلَـــمُّ ســـرابَ القَفْـــرِ أَوْ يَـــذَرُ؟!

قَلِّ: أين ثَوْبٌ علـــى المَتْنَـــيْنِ مُهْتَـــرِئٌ

تَخِيْطَـــهُ مِـــنْ لَيَـــالِيْ قَهْـــرِكَ الإِبَـــرُ؟

قلَ: أين ظِلَعَانِ، كانـــا شَـــهْرَتَيْكَ، ومـــا

بَيْنَهُمَـــا جُـــرُفَ، إنْ تبْتَغــــى الشَـــــهَرُ؟

*** ***

ماذا فعَلَـــت ببِـــاقِيْ الحَـــبِّ يَـــوْمَ غـــزَا

دَبَـــا الجَـــرَادِ ومـــا فـــي الجُـــرْنِ مُـــدَّخرُ

كيف اسْـــتطعْت حيـــاة والمَـــدَى كفـــنٌ

كيف اسْـــتعَادَتَ بَيَـــاضَ الـــدِّرَّةِ الـــدِّرَرُ[1]

هـــل مـــا تـــزَال بِحَبَّـــاتِ الفنـــا أمَـــمٌ

هنـــا تمُـــوت لِتشَـــقى بَعْـــدَها أخـــرُ[2]

مَنْ غيَّـــرَ الحَـــال حَـــالا طلعُهـــا ألـــقَ

عِنـــدَ اللقـــاءِ فتطـــرَى الحَـــال والغِيَـــرُ

قال: اتئِـــدْ! فلِسَـــانِيْ طـــائِرٌ حَصِـــرَتَ

دُوْنَ الــــذرَى جَانِحَـــاهُ والــــذرَى سِـــيَرُ

[1] من سنين القحط المذكورة في فَيْفاء سنة يسمّونها (سنة كِشْمَة)، حكـــوا أن الناس بسبب الجدب فيها لم يجدوا ما يطعمونه البقر إلا الفحـــم، ولذلك زعموا أن اللبن غدا في تلك السنة أسود وكذلك السمن.

[2] حبّة الفَنا/الفَناء: مرض، يحكون أنها كانت تظهر له في الجسم نَقْطَـــة على شكل حَبّة، ولا علاج له، بل عاقبته الموت الوشيك.

مــــاذا أَقَــولَ وَإذْ مِثْــلَ اسْــمِهِ جَبَلِـــيْ

فَيْفَــــاءَ لا مَطَــــرٌ تَرْجَــــى ولا ثَمَــــرُ

وإذْ أَفـــــاوِيْقَ مَـــــا يَجْنِيْـــــهِ قاطِنَـــــهُ

فِيْـــهِ المَجَاعَـــاتَ والأَمْــراضُ والخَطَـــرُ

والمَــــوْتَ يَمْـــــلأُ شِـــدْقَيْهِ وقَبْضَـــــتَهُ

يَمْشِـــــيْ الهُـــوَيْنَى وبالأشْـــلاءِ يَـــأْتَزِرُ

يُعَابِـــثَ المَـــرْأَةَ الحُبْلَـــى يَقَـــوْلَ لَهَـــا:

المَــوْتَ طِفْلِـــيْ ومَهْــدُ الطِّفْــلِ مُحْتَفَــرُ

وَيَلْكَــزُ الكَهْــلَ فـــي أَوْدَاجِـــهِ جَنَفَـــا:

كَمْ ذا يُعَــاشَ! وكَــمْ ذا يُشْــتَكَى الكِبَــرُ!

لَيْتَ الأُلَى أَكَلَ المَــوْتَ الــزُّؤَامُ قَضَــوا

يَــوْمَيْ حَيَــاةٍ، تَــرَوَّى الأَعْظَــمُ النَّخَــرُ

كَيْمَا يَرَوا غَرْسَهُمْ، أَحْفَادَ مــا سَــغِبُوا،

ماتَوا انْتِظَاراً عســـى أنْ يُــوْرِقَ الشَّــجَرُ

*** ***

يــا صــاحِ إنَّ اللَّيــالي أَعْقَبَــتْ قَمَــراً

يَضُـــمُّ كَـــلّ جبَـــالِيْ ذلـــكَ القَمَــــرُ

يَلَـــمُّ فيهـــا شَـــتِيْتَ المَهْـــدِ يُرْضِـــعُها

حَلِيْبَـــــهُ فَيَـــــرِفّ الغَصْـــــنُ والحَجَــــرُ

إِنْ جِئْتَ تَسْأَلَ عَنْ حَالِيْ وكَيْــفَ غَــدَا

فَلْتَسْـــأَلِ الأرضُ والأنســـامُ والزَّهَــــرُ

يَوْمَ الْتَقَى سَــحَرُ التّــارِيْخِ مِــلْءَ يَــدِيْ

صَــفْوَ السُّــيُوفِ ألا يــا نِعْــمَ ذا السَّــحَرُ

يَوْمَ اسْتَفَاقَ بِــأَعْرافِ الخَيُــولِ ضُــحًى

نَخْــلَ السِّــنِيْنِ الــذي قــد كــادَ يَنْــدَثِرُ

حَتّى تَــبَجَّسَ قَلْــبُ الصَّــخْرِ مُنْتَفِضــاَ

طَيْــراً مِــنَ المـــاءِ يُرْوِيْنَـــا ويَعْتَـــذِرُ

وســــابقتْ مَوْجَـــةٌ تَحْتَـــثّ جارتَهـــا

تَسَـــامَقَتْ صُـــوُراَ تَشْـــتَقّها صُــــوَرُ

ذؤابَـــةَ المَجْــدِ واختـــالَ النّـــواسُ بِهـــا

نَشّـــوَى الفَخَـــارِ وأنّـــفَ الـــذّلَ مُنْعَفِـــرُ

تَهُزُّ في مُهْجَةِ الصَّـــحْراءِ عَوْسَـــجَةَ (م)

الزَّمَانِ، مـــا غَـــرَرٌ جاشِـــتْ بهـــا غَـــرَرُ

وتَفْغَمُ الجَـــوَّ فـــي كَـــلَ القَـــرَى عَبَقـــاَ

أَرْدَانَـــــهُ العِـــــزُّ والتّمْكِـــــيْنُ والظّفَـــــرُ

كَأنّمـــا قـــد وَعَـــتْ كَـــلّ الجَزِيْـــرَةِ أنْ

قَـــدْ احْتَـــوَتْ قَـــدَراَ أَحْشَـــاؤَها الصُّـــبُرُ

كَأَنّمَـــا هِـــيَ زَرْقَـــاءُ اجْتَلَـــتْ غَـــدَهَا،

وذِمَّـــــةَ المُسْـــــتَحِيْلِ البَيْـــــرَقَ الخَضِـــــرُ

*** ***

مَنْ وَحَّدَ الأَرْضَ أَرْضَ اللهِ فـــي جَسَـــدٍ

المَسْـــــجِدانِ بِـــــهِ العَيْنَـــــانِ والحَـــــوَرُ؟

ومَـــنْ أَحـــاطَ رِقَـــابَ الجِيْـــلِ مَـــأْثَرَةَ

مِـــنْ بَعْـــدِهِ الجِيْـــلَ يَتْلُوْهـــا ويَـــأْتَثِرُ؟

مَنْ قَبْلنا لَـمَّ هـذا الشّـعْثَ فـي رئَـةٍ

أَنْفاسُـها الشَـيْحُ والكَـاذِيُّ والمَطَـرُ؟

ومَـنْ تَـرَاهُ ابْتَنَـى للعُـرْبِ مَمْلَكَـةَ

في شَـكْلِ قَلْـبٍ بِنَـبْضِ القَلْـبِ يَعْتَمِـرُ؟

هَبَّتْ صَبًا حَمَلَـتْ وَطْفَـاء مـا هَـدَأَتْ

حَتّـى تَغَشّـتْ بِـلادي وَهْـيَ تَنْهَمِـرُ

فَغَيَّـرَ اللهُ حَـالِيْ نَضْـرَةً ورِضًـى

وسَـنْبَلَ الحَقْـلَ صَـخْرٌ يـانِعٌ نَضِـرُ

*** ***

إنَـي اسْـتَفَقْتَ وفـي كَفَّـيَّ مَدْرَسَـةٌ

مَبْنِيَّـةٌ بِعُيُـونِ النّـوْرِ تَنْتَظِـرُ

إنَي اسْتَفَقْتَ ومـا أَلْقَـى أَخِـيْ وأَخِـيْ

خَصْـمَيْنِ فـي رَحِـمٍ.. واللّيْـلَ مُعْتَكِـرُ

إنَـي رَأَيْـتَ سَـبِيْلِيْ لاحِبًـا أَمَمًـا

مُعَبَّـدَ الخَطْـوِ لا تَنْبُـوْ بِـهِ العِثَـرُ

وقَـدْ تسَـدَّت جِبـالِيْ الشَـمَّ فارِعَـةً

مِـــنْ دَوْحَـــةِ النَـــوْرِ أفنَـــانِيْ بِهَـــا زُهُـــرُ

والدَّرْبُ أعْمَـــى تجلَّـــى نـــاظِراهُ كمـــا

جَلَـــتْ مَحَاجِرَهـــا بـــالأنجُمِ الـــدُّجُرُ

عَهْـــدٌ جَدِيْـــدٌ مُـــرِبٌّ كلّـــهُ لغـــةٌ

مِـــنَ التفـــوُّقِ والإقْـــدَامِ تنصَـــهِرُ

يَرْنُـــوْ إلـــى أسْـــطرٍ أخْـــرَى تزَوْبِعُهـــا

ثوريَّـــةٌ سَـــنها الإسْـــلامُ والنظَـــرُ

ترْمِيْ فِجَاجَ الـــرُّؤى عَـــنْ كـــل قافِيَـــةٍ

فيَسْـــتهِل قصِـــيْدٌ ثـــائِرٌ خطِـــرُ

....

فقلت إذ قـــال، وارْتفَـــتْ علـــى شَـــفتِيْ

فراشة الشَـــعْرِ واسْتَشَـــرَى بِهـــا الـــوَتَرُ:

إنَّ المَسَـــافة عَجْـــزٌ حِـــيْنَ تـــذرَعُها

وهِمَّـــة الحُلْـــمِ تـــدْنِيْهَا وتختصِـــرُ!

جازان، ١٤١٩/١٠/١٣ هـ.

* * *

طائفيّة/ فيفيّة

إلى ضرتّين عشتُهما وعاشتاني (فَيْفاء والطائف)

طـــــاف طيْــــفَ طـــــائِفِيٌّ وتثنـــــى
مُشْــــرَئِبَ الوَعْـــــدِ عَنـــــى وتعَنـــــى
عِنبِـــــيَّ الثغـــــرِ لمَّـــــا زارَنِـــــي
أيْقــظ الصَّــحْراءَ فـــي الصَّـــبِّ فغنـــى
نشَـــــرَ الـــــرِّيْش سَـــــلاما فابْتَـــــدا
ألفبـــــاءَ العِشـــــقِ سَـــــطرا فكتبْنـــــا
خـــوْط بـــانٍ ســـاجِيَ الطَـــرْفِ علـــى
غصنْهِ حَطَــتَ طيُــوْرُ الخــوْخِ مَثنـــى
ثقفِـــــيَّ القَـــــدِّ عَرْجِـــــيَّ اللغـــــى
يَتغنـــــى كـــــمْ فتـــــى فينـــــا أضَـــــعْنا

وأمــــاطَ الخَـــزّ عـــن خُـــرِّ النقَـــا

فتــــداعى الوجـــدُ هَتَنـــا جـــادَ هَتَنـــا

مَـــــن أنــــا قالـــــتَ وآرامٌ نـــــزَتَ

شــــــهوةً واهتــــــزَّ وجٌّ وارْجَحَنـــــا

ورَنـــــا الأفـــــق عيونـــــا وطلـــــى

تـــزْحَمُ الوَهْـــدَ وتغشـــى كـــلَ مَغنـــى

أنــــا غـــزْوَانُ أبـــــي.. يـــــا لأبـــــي

بـــــاذخ الهامــــــةِ تيّاهـــــا مِفنـــــا!

قـــال بـــا بنتـــي تســـامَي حُـــرَّة

فجمـــال الغـــادةِ المختــــال أجْنــــى

من شـــريطِ الأمـــسِ ذكـــرى انتظمـــتَ

مثلمــــا تنـــــتظمُ القضـــــبانُ سِــــجْنا

إذَ ذئـــــابُ الليـــــلِ تجْتـــــاسُ دمـــــي

والضُّحى يضحكُ فـــي الصَّـــبَّارِ ضِـــغنا

وحِـــرابُ المـــوتِ تنمـــو فـــي يـــدي

كعناقيـــــدي وكــــان الرُّعْــــبُ دَنَــــا

أقبلـــتْ مـــن ســـاعةِ الأقـــدارِ لـــي

ساعةَ صـــاغتْ حـــروفَ العُشـــبِ أمْنـــا

إنهـــا ســـاعة عشـــقي أشـــرقتْ

واســـتهلتْ مـــن يـــدِ التـــاريخِ يُمْنـــى

أيُّهـــا البيـــدُ اســـتظلّي رئتـــي

وتَـــروّي مِـــن نـــدَى خـــدَيَّ مَنـــا

كـــان وجـــهُ الليـــلِ إذ قالـــتْ مَـــدًى

يرســـمُ الضـــوءَ فنـــاراتٍ وسُـــفنا

كـــان مـــا قالتـــه رُمّانـــا كسَـــا

شَـــفةَ الفجـــرِ تباشـــيرَ ويُمْنـــا

وهْـــيَ إذ قالـــتْ غـــزالا نـــافرا

جَبَلِـــيَّ الشّـــوْقِ وضّـــاحا مُحَنـــى

قلـــت يـــا هـــذي هنيئـــا للفتـــى

ولـــيَ الله.. تبـــاريحَ وظعْنـــا

أخـــــت (فيفــــاء) بقلبـــــي قلبُهـــــا

مـــن رأى قلبـــين فـــي قلـــبٍ مُعَنَـــى

هـــــذه (فيفـــــاءُ) فينـــــا أشـــــأمتَ

أيّ روضٍ مـــن ريـــاضِ اللهِ أسْـــنى!

أم هـــيَ (الطـــائف)؟.. صَـــدْرٌ حـــالمٌ

وقمـــــاريٌّ تفِـــــزّ الآنَ وَسْـــــنى

هـــــذه "الطَيْفـــــاءُ"، بيـــــتَ محكـــــمٌ

فيه باتـــتَ أحرفـــي الخضـــراءُ مَعْنَـــى

وتوادعنـــــا عشـــــيقينِ ولـــــم

تلتـــق الأنفـــاسُ منـــا واعتنقنـــا

وتلاقينـــــا عشـــــيقينِ ولـــــم

ترْتَـــوِ الأنفـــاسُ منـــا وافترقنـــا

هـــل تغيّرنـــا؟ هـــل الحـــبّ المكـــا

نُ الـــذي كـــان بَعَيْنيْنـــا اســـتكنا؟

مَـــن يعيـــدُ المعهـــدَ المعهـــودَ فـــي

ذِمَّـــةِ الـــذكرى كمـــا كـــان وكنـــا؟

مَـــن يعيــدُ الشـــارعَ.. الـــدُّكانَ.. لـــي

مثلمـــا كانــــا.. إذا مـــا الطفـــل حَنَـــا؟

تهجـــــرُ الأكــــوانُ طـــــرًا كونهـــــا

وتظــــل الـــــروحُ ديوانـــــا وخِـــــدْنا

وتمـــــــوت اللوحـــــــة الزيتيـــــــة

إذ يعــــيش الراســـــمُ الفنــــانُ فنـــــا

فــــإذنْ.. كيـــف المعــــرِّي يشـــكتي،

ذات شــكوى: "أمْحَــل الــروحُ وشــنا"؟

إنـــه العِشـــق جنـــينُ النـــارِ: وَيْ!

مَـــن سَـــقتهُ حَلَمَـــة الجَمْــراتِ أنـــا!

وهُـــوَ العِشـــق مصـــابيحُ تـــرى

فـــي دمِ العُشـــاقِ.. أيّـــانَ وأنـــى

إنمـــا عشـــقِيكِ وَصْـــلٌ نـــاعمٌ

وفــؤادُ العشــقِ وَهْــنٌ ضَــمّ وَهْنـــا

الرياض، ١ صفر ١٤١٩هـ.

فَيْفاء

فيْفـــاءُ، يـــا فلـــكَ الخيـــالِ الأبْعَـــدا

وهَوًى يســـافرُ فـــي جناحَيـــهِ المَـــدَى!

"مـــا أطيـــبَ الحَجَـــر الفتـــى "متلألئـــا

بـــالحُلمِ صَـــحْوا والخرافـــةِ مَشْـــهَدا!

مـــا ضـــمّني بَلَـــدٌ ولا ضَـــامَ النـــوَى

إلا وجَـــدْت شـــذاكِ فـــيَّ مُجَـــدّدا

قالوا: "هـــي الأوطـــانُ مهمـــا تجْفنـــا"

وأقول، يـــا وطنـــي: "فـــديتك، سَـــيِّدا!"

لا جفـــوةَ يُخشَـــى تغوُّلهـــا، ولا

يومـــا حفلـــتِ بمَـــن جَفَـــا أو هَـــدَّدا

طـــــوْدٌ بــــهِ الله يُثبِّــــت أرضَــــهُ

مـــن أنْ تميـــدَ، وجَـــل ذاكَ مُوَطـــدا!

شـــمّاخة فيـــهِ الحصـــونُ، كأهلِـــهِ،

مـــن رامَـــهُ رامَ السَّـــماحة والنـــدَى

أخلاقـــهُ الجبـــل المُنِيْـــف، وهـــل دَنـــا

جبـــل يُعاتـــبُ مـــن ذراهُ الفدْفـــدا؟!

شمَمُ الجبالِ مـنَ الرجـالِ، ولا يُـرَى

شـمَمٌ يُجـاورُ فـي الرجـالِ تـرَدُّدا!

ولأنـــتِ أنـــتِ، وراحتـــاكِ مواســـمٌ

للحُـــبِّ تـــذروهُ الحِيـــاضُ زَبَرْجـــدَا

ومواســـمُ الهِمَـــمِ الشـــواهق طلعُهـــا

قِمَـــمٌ تـــراودُ فـــي ثراهـــا الفرْقـــدَا!

فـــي كـــل "رَيْـــدٍ" بـــارق متهلـــل

ناجَى علـى كتِـفِ التنـائفِ مُرْعِـدا!

وكـــذا الحرائـــرُ: فتنـــة، وحصـــانة،

وفطانـــــة، وصِـــــيانة، وتصَـــــيُّدا!

*** ***

فيْفــاءُ، يــا كـأسَ النـدامَى إنْ هُـمُ

ظمِئــوا لِــدَنكِ أكؤسـا أو أكبُـدا!

مُـدِّي جناحَـكِ، حلقــي ريَّانــة

بطموحِـكِ الوَثــابِ، حُجِّــي الأمْجَـدا!

فعقابُـكِ الشــاهينُ يصــطادُ السُّــهَا

وعقابُـكِ الإنســانُ يصــطادُ العِــدَى!

(عبسيّة) عَبَسَـتْ علــى قيْـدِ الثـرَى،

فتحَـررَّت، وأتــى الزمــانُ مُقيَّــدا![1]

سَـيَّافها كــاذ تبَسَّــم برْقــهُ

ورَصاصُــها عِنــبُ الفتــونِ تعَنقــدا[2]

"هُزَّابُهــا" هَــزَمَ العــزائمَ مُصْــبِحا

وجَنَــى القلــوبَ "بُعَيْثِـرَانُ" مُسْـئِدَا![3]

من "حَقوِها" لشِـعافها رَشَـفَ الضِّـياءُ

ظِلالهــا راحـــا.. وراحَ أو اغتــدَى

---

[1] العَبْسِيَّة: أعلى قِمّة في جبال فَيْفاء.

[2] الكاذ: طَلْع شجر الكاذ، جمع كاذية، المعروف بطيب عَرْفِه.

[3] الهُزّاب والبُعَيْثران: من النباتات العطرية. والمسئد: الساري ليلاً.

لـــم يُلـــق فيهـــا جَحْفَـــل مِـــن أنجُـــمٍ

إلا بـــــهِ لقِيْـــت جَحَافـــل مــــن رَدَى!

جُنــــدُ الجَمـــالِ، كتائبـــا بكتائـــــبٍ،

والله كـــــمْ وَهَـــــبَ الجَمَـــال وجَنـــدا!

*** ***

يـــا غـــادة حَلمَـــت فغـــادرَ حُلمُهـــا

"نيْـــدا" تـــدانى أو "حَبِـــيْلا" مُصْـــعِدا[1]

لفـــت "مِحَنتهـــا"، قـــوافيَ مـــن دمـــي،

عَرَفـــت مَحَبَّتهـــا فسَـــاقتني الصَّـــدَى[2]

بجديلـــةٍ فـــي شـــعْرها عَبِـــث الـــدُّجَى

والشـــمسُ أرْخــت بـــينَ نهْـــدَيْها اليَـــدَا

لتثورَ في ربواتهـــا "وَطَـــف" الضُّـــحَى

تحْسُـــو نضـــارا صـــافيا وزُمُـــرُّدا[3]

---

(1) *النَّيْد: مكان فسيح، مشرف على جهات من الجبل، يكون عادة محـــلاً يَتَنَدَّى فيه الناس ويعقدون لقاءاتهم. والحَبيْل: متن مطلّ من الجبل. وفي فَيْفاء أماكن عدة باسم "نَيْد" أو "حَبيْل".*

(2) *المِحَنَّة: ضرب خاص من طرحات النساء.*

(3) *الوَطَف: جمع وَطَفَة، وهي اليمامة.*

بُنِيَّـــــة النَجْـــوَى، علـــــى أهـــــدابِها

رَفَـــتَ طيـــورٌ فاســـتحالتَ أنَجُـــدا

مـــن عَــرْفِ فوْدَيْهــا تــنفسَ شـــارقَ

وعلــــــى خميلــــــةِ شـــــادنيها ورَّدا

فـــي صـــيفها بـــردُ الشـــتاءِ، شـــتاؤها

دِفءُ العُيُـــونِ الناشِـــراتِ المُلَحَـــدا

حُلمـــي هنالـــكَ غيمتـــانِ بصَـــدْرِها،

تتلاثمـــــانِ وتبْرِمـــــانِ المَوعِــــدا!

وتَســـبِّحُ الأنـــواءُ مـــن أعطافِهـــا،

نـــوْءا "يُحَـــوِّم" إثْـــرَ نـــوْءٍ "مَغْــرِدَا"![1]

*** ***

يا مَـــن يُـــرى فيهـــا المُحَـــال حقيقـــةَ

وتـــدورُ فـــي يـــدها الهُنَيْهَـــة سَـــرْمدَا

أهْمِـــي عليـــكِ مَحبَّـــة لا يمَّحـــي

حِناؤهـــا، وأصـــوغ جِيْـــدَكِ عَسْـــجَدا

---

[1] الحُوّام: من أهازيج المزارعين في أثناء العمل. والمغرد: ضرب آخر من الإنشاد.

عُــوْدِي إلــيَّ مــن الأســاطيرِ التــي

"زَرْكشَتِ" نسْـجَ خيوطِهـا لــيْ مَعْهَـدا

"كثبَغطِــــرٍ" تهفــــو بقايـــا رِيْشِــــهِ

من ذِمَّةِ الــذكرَى خيـالا مِــنْ نــدَى[1]

عُوْدِي كمــا كنــتِ، كمــا لــم تعْرفــي

إلاّ وَقَــــــدُّكِ كــــــالأريْجِ تــــــأوُّدا

واســــتنطقي "فينـــوسَ" أيّـــامٍ خلــت

نحَتَــــت بهــــاءَكِ للأنوثـــةِ مَحْتِـــدا

وَلكمْ جَنى "حُسْنُ الحضارةِ"!، أيــن مــن

عَيْنيَّ حُسْــنُ حضــارةٍ جــاءت غــدَا!

*** ***

دارت تفـــتش أمُّنـــا عـــن أمِّهـــا

فينـــا وتحْفِــرُ فـــي بقايانـــا سُـــدَى!

عِـــرْقَ شَـــربتمْ منــه كأســا واحــدا

كيـــف اســـتدارَ تحَـــدُّدا وتعَـــدُّدا؟!

---

(1) الثبغطر: نوع من الطيور، يُذكر ولا يُعرف.

أَيُهَـــدُّ بيـــتٌ مــــن مــــدادِ قلـــوبكمْ

شـــيَّدتمُ؟ فلبــــئس بيــــتَ شَـــيِّدا؟!

أتـــروحُ كـــل "عَسِـــيْفةٍ" فـــي غِيلهـــا

جَـــذلى وسَـــبْعُ الغِيـــلِ عنـــهُ تشـــرَّدا؟!

أتـــــدارُ أحلامـــــي وآلامـــــي ولا

يَبْكِـــي علـــيَّ ســـوايَ فِـــيَّ مُسَـــهَّدا؟!

سألتَ عَطـــا.. ســـألتَ عُبَيْـــدا.. مالِكـــا

أسَفي عَلَيَّ ــ بَنِيَّ ــ أيُّكُــمُ الفِـدَى؟![1]

وتـــأوبُ وَحْشَـــى، فالحنـــاجِرُ أعـــينٌ

عميـــاءُ تلـــتهمُ الفـــراغ المُوْصَـــدا

*** ***

ما ردَّ مَجْـدَكَ ــ يـا زمـانُ ــ تـذكرٌ

أو جَدَّ أمرُكَ ــ يـا مكـانُ ــ توَجُّـدا!

---

[1] عطاء وعبيد ومالك: أبناء أحمد، ثلاثة إخوة، قيل هم أجداد فرعين من قبائل فيفاء: (ولد عطا) و(آل عبيد)، والثالث جد (بني مالك).

لكـــنَّ لـــيْ بمَـــدارِ تهْيـــامي صَـــبا

تعْلـــي جنـــاحَ الحُلْـــم، فمْحـــيَّ النـــدا

لِغدٍ سَـيُثمِرُ سَـقفهُ مـن فِضَّـة الـــ

آمـاسِ صُـبْحا يافعـا خضِـل الـرِّدَا

بُنـــي الجِبـــال مـــن الحجـــارةِ، بينمـــا

جَبَلـــي بأحجـــارِ الرِّجـــالِ تمَـــرَّدا!

(جمّانُ) يَنبُت فيــه مـن رَحِـمِ الثــرَى

والآبَنـــوسُ سَـــريْرُهُ، حَقَـــلا بَـــدَا[1]

يَنمُـــو (سَـــرِيّا)، فالصـــواعق صَـــنعَةَ

فـــي كفِـــهِ، قدُّومَـــــهُ والمِبْـــرَدا[2]

---

[1] الإشارة إلى أسطورة تقول إن امرأة ماتت وهي حبلى، فمرّ زوجها بقبرها بعد فترة، فإذا هو يسمع صوتاً من القبر، فسأل كاهناً في شأنه، فأشار عليه بنبش القبر، فلمّا فعَل ما أشار به الكاهن، إذا هو يجد طفلاً حيّاً، وقد أحيا الله له نصفاً من جسد أمه، فما يزال يغتذي برضاع ثديها. فأخذه أبوه وعُني به حتى نما، وسمّاه (جمّان). وقد كبر جمّان وأنجب. كما زعموا أنه لمّا مات التصق بسريره، فلمّا دفن بسريره، نبتت قوائم السرير، والتفّت أشجاراً حول قبره.

[2] السَّري: شخصية أسطوريَّة فيفيّة، يزعمون أنه أمسك بصاعقة، ثم صنع منها آلات استخدمها، كالمبرد والقدّوم.

أَلَـــقٌ هنالـــــكَ شـــــاهقٌ يَشْـــــتَفُّني

فـــأدورُ فـــي رئـــةِ الزَّمـــانِ تنهُّـــدا!

أســـتقرئ الأيَّـــامَ فـــي صَـــدْري وفـــي

صَـــــبْري غبَـــارُ كتابِهـــا، مَتوحِّـــــدا

عَطَشي على الترحال يفتِــكُ بـــي هنـــا

وإليـــكِ يـــا أمَلـــي شـــربت الأفـــؤدا!

رُدِّي صبايَ، صـــباكِ فـــيَّ، صَـــبابتي،

واســـتقبلي كـــاليومِ أمســـي الأغيَـــدا

ولتغفـــري بُعْـــديْ القريـــبَ، وتغفـــري

قربْـــيْ البَعِيـــدَ، ومرتقـــايَ الأعْنـــدا!

صَوْتِيْ على متنِ الـــوَنى يســـريْ إلـــى

أذنيْـــكِ ــ أمِّـــي ــ فامنحيـــه المَوْلِـــد!

*** ***

فيْفـــاءُ، يـــا بئـــرَ المعـــاني المُفْـــرَدا

ومَعِـــيْنَ شَـــوْقٍ بـــالحروفِ توَقّـــدا

لغة الرجـوعِ إليـكِ أنثـى، خـطّ هـا

تفهـا بخـطّ العُمْـرِ فـيَّ مُغـرِّدا

ليسـتَ تنـامُ، ولا أنـامُ، وكيـف لـيْ

لـو نـامَ جـوّال الهَـوَى أنْ أنشِـدا؟!

أرهقـتِ بـازَ الشـعْرِ فـي تحليقـه

من حيث جاءكِ كـان شِـعْرُكِ أجْـوَدا!

فـالله قـد نظـمَ الجَمَـال، قصـائدا

أوْلـى، وكـل الشـعْرِ جـاءَ مُقلـدا

ألقِيْـكِ فـي هـامِ الأثيـرِ قصـيدة

كحفيفِ ثوبِ عروسـةٍ دافـي الصَّـدَى

وأقول ــ ترْحَل بين طيُوبُ حضورِها ــ

يـا أنـتِ، أسْـلمْت إليـكِ المِقْـوَدا

تعِـبَ الفـؤادُ إليـكِ، يـا بلقيسَـهُ،

فـأتى يفـتش عَنـكِ عرشـكِ، هُدْهُـدا

عفوًا، أنا ما عـاد صـوتي فـي يـدي

بُهِـت البيـانُ بـأحرفي وتبَلّـدا!

كـــمْ قلْــت إنـــي شَـــاعرٌ ومُصَـــوِّرٌ

حتـــى انتحَلْتـــكِ، عامـــدا مُتعَمِّـــدا

فعرفـــت حَجـــمَ قصـــيدتي بقصـــيدتي

يا رَوْعَةَ الشَــعْر الــذي لــن يُقصَــدا!

*** ***

فيْفَــاءُ، كـــلَ ثـــرى العروبـــةِ مُوْحِـــلَ

هـــلا وهبـــتِ ثـــرايَ نجمـــا يُهتـــدى؟!

إني ســـألتكِ.. تأكـــل الفوضـــى يـــدي

وأضمُّ من تعَبـــي علـــى تعَبـــي اليَـــدا!

الرياض، شعبان ١٤٢٣ هـــ.

***

شهقة الخلود

فَيْفَـــاءُ، يـــا شَـــهْقَةَ الخَلَــوْدِ

يـــا فِكْـــرَةَ "الطّـــارفِ التّليـــدِ"!

يــــا مهــــبطَ الأرضِ للسَّــــماءِ

أو مُرْتَقَـــى الـــنّجْمِ فـــي القَيُـــودِ

يــــا طـــائراً رِيْشَـــهُ فَـــؤادي

زاهـــيْ الشّـــذا أخضَـــرَ الشّـــرُودِ

تهفـــو إلـــى عُشّـــهِ ذَواتـــي

فـــي دَوْحَـــةِ البَـــرْقِ والرُّعُـــودِ

تَسُـــفّ مـــن وَكْـــرِهِ رُفـــاتي

قلائـــــدَ المَجْـــــدِ والجُـــــدُودِ

نـــاجَى النَّـــدَى صَـــخْرَةً، فهـــاتي

دفـــــاترَ الحُـــــبِّ والشّـــــهُوْدِ!

*** ***

يـــا عذبـــةَ البئـــرِ فـــي الـــوُرُوْدِ

يـــا نَبْضَـــةَ الوَجْـــدِ فـــي الوَرِيْـــدِ

شَـــرَّقْتَ فـــي الـــرِّيحِ والمـــواني

غَرَّبْـــتَ فـــي النـــاسِ والعُهُـــوْدِ

ورُحْـــتَ فـــي وُجْهَـــةٍ لأُخْـــرَى

كطـــابعٍ ضَـــاعَ فـــي البَرِيْـــدِ

مـــا بَـــلّ رُوْحـــي سِـــواكِ مـــاءٌ

أو ضَـــمَّ عَظْمـــي سِـــوَى البُـــرُوْدِ

رِقَـــيْ لمُسْـــتَقْرِئِ البُـــرُوْقِ

مـــا جَـــدَّ مـــن فِكْرهـــا الوَلُـــوْدِ

مـــن عنْعَنـــاتٍ بـــلا حـــديثٍ

فـــي صـــفحَةِ السَّـــهْلِ والنَّجُـــوْدِ

أيَّـــــانَ ذاك الكتـــــابُ؟.. قَـــولي!

والطِّفْـــلَ فـــي طَبْعِـــهِ العَنِيْـــدِ؟!

*** ***

عليـــكَ وَقْفـــاً سَـــلامُ روحـــي

فـــي هـــامتي دَوْلَـــةَ القَصِـــيْدِ

تَصْـــحُوْ يَماماتُهـــا بصـــدري

أَنْـدَى مِـنَ الطَّـلَ فـي الـوُرُوْدِ

تَنْثـــالَ مـــن لَفْتَتِـــي غَمَامـــاً

رَقَّـــتْ لَـــهُ أَضْـــلُعُ الوُجُـــوْدِ

تَنْســابُ مـن تاجِهــا سَــمائي

للهِ يـــــا فــــاتنَ النَّشِـــيْدِ!

*** ***

فَيْفَـــاءُ، يـــا لَوْحَـــةً ببـــالي

ويُـــلاهُ مِـــنْ لَوْعَـــةِ الشَّـــريدِ!

الوقْـــتَ رَقْـــصٌ علـــى الثَّـــواني

والـــدَّرْبُ سَـــيَّالَةَ الحُـــدُوْدِ

هـــل لــــي إليـــكِ أصـــيل يَـــومٍ

أو ضَـــحْوة فــــي الحِمَـــى الفَرِيْـــدِ؟

هـــل لــــي إليـــكِ.. ومـــا تَبَقّـــى

فــي صَـــهْوةِ الشـــمسِ مـــن صُـــعُوْدِ؟

هــــذي القَــــرَى بعُكَــــاظ تجثـــو

فـــــي مَوْسِـــــمِ البَيْــــعِ والعُقَــــوْدِ

مجهـــــودةَ الــــــرُوْحِ كالسَّــــبايا

مضـــــــروبةَ العِــــــرْضِ كالعَبيــــــدِ

أنّـــــى لِعَـــــادَ تَعــــادُ نَخْـــــلٌ؟!

أو تَنْـــتَجُ النّـــوْقَ فــــي ثَمُـــوْدِ؟!

*** ***

فَيْفـــــاءُ، بــــا بســــمةَ الصَّــــباحِ

جئنـــــاكِ والليــــلَ مــــن حَدِيْـــــدِ!

"قَــوْمٌ هُــمُ الأنّــفَ"! كــم (قَصِــيْرٍ)

فـــي أنفِـــهِ الـــــ... مَشّـــيهِ الوَئِيْـــدِ؟!

يُفْتَـــونَ طَلّـــسَ الـــذئابِ تَنَـــزو

هنـــــاكَ بـــــالركّعِ السُّـــــجُوْدِ

شـــــطرنجَ رُوْمٍ تَـــــدُكُّ فَرْســـــاً

فـــــي لَعْبَـــــةِ التّـــــاجِ والبُنَـــــوْدِ!

....

حتّـــــى متـــــى هـــــذه الفيـــــافي

تَنـــــداحُ فـــــي غَيِّهـــــا البَعِيْـــــدِ؟!

حتـــــى متـــــى رايتـــــي كـــــذاتي

حرائقـــــاً زادُهـــــا وجـــــودي؟!

قـــــوافلاً قادَهـــــا سُـــــؤالٌ

مـــــا للعَمَـــــى فيـــــهِ مِـــــنْ مَزِيْـــــدِ!

الرياض، ٢٠٠٤

***

سلمان

ما جَفّ حِبْرُكَ في دَمِــيْ، يـا خَــالي

أَبَــــداً، ولا أَدَبٌ سَـــــرَى بِخَيَـــــالِي

.. وفَتَحْتَ قَلْبَكَ، عالَمــاً مــن أَنْجُــمٍ،

وسَمَحْتَ لي، فجلستُ حيــثُ حــلا لــي

هذي حُرُوْفُكَ، أم حُرُوْقُكَ، لــم تَــزَلْ

بالحُـــبِّ يُشْـــعِلُ نَبْضُـــها أَوْصَـــالي

هذي "طُرُوقُــكَ"، بَــدْؤها والمُنْتَهَــى،

طَيْـــرٌ بِســـدْرَةِ قَلْبـــيَ الأَطْـــلالِ

فـــي كُـــلِّ نُـــوْنٍ لَفْتَـــةٌ حُوْرِيَّـــةٌ

تُلْقــي علــى كَتِــفِ الزَّمــانِ سُــؤالي:

هلْ غـــادرتْ منّـــي الأصَـــابِعَ نَبْـــرَةٌ

رُوحيَّـــــــةُ التّكـــــــوينِ والأفعَـــــــالِ؟!

*** ***

إنْ أَوْحَشَـــتْ مِنْـــكَ المسَـــاءَ عُيُونُنَـــا

فعُيُـــــونُ شِـــــعْرِكَ لَـــــذّتي ووِصَـــــالي

كَمْ كُنْتَ غَضَّـــا، كالتّحِيَّـــةِ، مُشْـــرِقاً،

جَـــــزْلاً، جَمِـــــيْلاً، أُمَّـــــةً بِحِيـــــالي

قـــد كـــان كأسُـــكَ مـــن ذَكـــاءٍ كُلّـــهُ

أَشْـــهَى علـــى كَبِـــدِيْ مِـــنَ السَّلْسَـــالِ

فشَرِبْتُ صَوْتَكَ، صـــافِياً، تَـــرْوي بِـــهِ

سَـــمْتَ الكُهُـــوْلِ وشِـــقْوَةَ الأَطْفَـــالِ

"في البحرِ يسبحُ بـــي خيـــالٌ مُغْـــرِقٌ"

غَنّـــى القصـــيدُ. فهـــام كُـــلّ جَمَـــالِ!

ولقـــد كَتَبْـــتَ بغَيْمَـــةٍ خَضْـــراءَ خـــا

تمـــةَ البـــروقِ وجمـــرةَ الإشْـــعَالِ!

نَهْراً من الحِبْــرِ المضِــيءِ، فرادِســاً

مــــن فاكهـــاتِ الفِكْـــرِ والأمثــــالِ!

سُبْحانَ مَنْ وَهَــبَ المَواهِــبَ للــوَرَى

وحَبَــــاكَ منهـــا أَنْجُمـــاً ولآلــــي!

صَـــوْتٌ نَمِيْـــرٌ، مـــاؤُهُ مُتَهَلِّـــلٌ

غَسَـــلَ الفُـــؤادَ بِقَطْـــرِهِ الهَمَّـــالِ

فرَبَتْ عُرُوْقُ الأرضِ، والإنسانِ، لــو

أنّ الحجَــــارةَ تُسْــــتَثارُ لِغَــــالي

لهفا رسولُ العِشْقِ مِنْ حَــدَقِ الــذُّرَى

يَنْعِيْــكَ، يـــا لُغَـــةَ الضَّـــمْيرِ العَـــالي!

*** ***

إنْ قِيْلَ: إنّ الشِّــعْرَ تُلْهِمُــهُ الــرُّؤَى،

ســـأَقُولُ: شِـــعْرُكَ رُؤْيَـــةُ الأَجْيَـــالِ

فـــي كُــلِّ بيــتٍ أَلْــفُ عَــيْنٍ، كُلّمــا

أَنْشَـــدْتَهُ جاشَـــتْ شِـــعافُ جِبــــالي

تَرْمِـــي قـــوافيَ كالنيـــازكِ تـــارةً

وقوافيــــــاً كعواسِــــــلٍ ونِصَــــــالِ

وتُنضِّـــدُ الإِحســـاسَ كـــاذاً يانِعـــاً

باقاتُـــــهُ مَـــــلأتْ عَلَـــــيَّ سِـــــلالِي

ورأيـــتُ فـــي أُفُـــقِ التّلَقِّـــي أدمُعـــاً

مـــــلأتْ كتـــابَ الحُـــبّ والإجْـــلالِ

بجَمالِهــــا وجَلالِهــــا، بِنســــائِها

ورِجَالِهــــــا، وبـــــأذْرُعٍ وتِـــــلالِ

فَيْفـــاءُ منـــكَ اليَـــوْمَ تَبْكـــي شـــادياً

مَسَـــحَ الـــدُّموعَ بصَـــوْتِهِ السَّـــيَّالِ!

*** ***

ــ سلمانُ، يا سَـيْفاً تسـاقَطَتِ الظّبَـى

وَبَقِيْـــتَ وحْـــدَكَ صَـــارِمَ الأهْـــوَالِ!

أنتَ الحِكايةُ، يـــا ابـــنَ آدمَ، قُـــلْ لَنـــا

كيـــفَ أرتأيـــتَ حِكايـــةَ الآجَـــالِ؟

ــ منذُ الطّفُولةِ عِشْــتُ "أيُّوبــاً"، إلــى

أنْ ماتَ صَبْرُ الصَّــبْرِ فــي التّرْحَــالِ!

مــا ذُقْــتُ لونــاً واحِــداً مِــنْ لَــذّةٍ

إلاّ بـــــهِ قـــــزَحٌ مِـــــنَ الأثْكَـــــالِ!

ضَمّدْتُ بــالجُرْحِ الجِــرَاحَ، ودونَهــا

سَـــرَطَانُ بَحْــرِ المَــوتِ فِــيَّ يُــوالِي

قَضمَ الشّباب ــ جَهَالَةً ــ لم يَــدْرِ مــا

فَعَلَـــــتْ يــــداهُ بصَـــــفْوَةِ الأشْـــــبَالِ!

ما راعَني المــوتُ الــزُّؤَامُ مُصَــافِحاً

إذ راعَ كُـــــلّ فـــــرائصِ الأبطـــــالِ!

لكأنّمـــا كـــان التّحـــدِّي سَـــرْمَداً:

تِرْيَـــــاقُ مـــــا يَفْنَـــــى بحَيَّـــــةِ آلِ!

أَتْعَبْتُ سَيْفَ الوقتِ فِــيَّ. وهكــذا [م]

انْتَحَــرَ الزَّمــانُ، وعِشْــتُ كالإشْــكالِ:

أيمــوتُ هــذا المَــوْتُ إذْ نلقــاهُ فـــي

كَبـــــدِ الحَيَــــاةِ بِعَزْمَـــــةٍ ونِـــــزَالِ؟

ولربمـــــا أردتْـــــكَ مِنْـــــهُ نَبْـــأَةٌ

صُــــغْرَى بِغَيْـــرِ شَـــكيْمَةٍ وقِتَـــالِ!

عِشْ حيثُ أنتَ، رجولةً فوقَ الثَّــرَى،

ورجولـــةً تحـــتَ الثَّـــرَى المُنْهَـــالِ!

أبَــداً تُفَتِّــتُ صَــخْرَةَ الأَقْــدارِ، فـــي

كَـــفِّ اليَقِــــيْنِ، بقُـــدْرَةِ الفَعَّــــالِ!

فــــاللهُ فيـــك، إذا تشـــاءُ، بكَفِّــــهِ

كُــلُّ المُحــالِ هنـــاكَ غَيْـــرُ مُحَـــالِ!

*** ***

يا مَنْ رَحَلْتَ ضُــحًى، كأنَّــكَ هاهنــا

مازِلْـــتَ تَقْـــرأُ صَـــفْحَةً فـــي بـــالي!

أقويتَ مَغْنَى القَلْبِ، كــم مــن ســائلٍ

شَــــفَتَاهُ لا تَقْـــوَى علــــى التَّسْـــآلِ!

للهِ أنـــتَ! متـــى أَراكَ؟ فقـــد ذَوَتْ

فـــي البُعْــدِ بَعْــدَكَ نَخْلَتـــي وغَزالـــي!

يـــا رُوْحَ "أَنْكِيْــدُو"، ســـلاماً وارفـــاً!

مَنْ لِـــي لهــذا الحُلْــمِ مِــنْ "تِرْكَـــالِ"؟!

طــــالَ الغِيَـــابُ، ألا تُطِـــلّ كغَيْمَـــةٍ

وطْفَاءَ، تَسْأَلُ في الثّــرَى عــن حـــالي؟!

مازِلْتَ مُــذْ غـــادرتَ تَمْثُــلُ باسِــماً

مِـــنْ عَـــنْ يمينـــي تـــارةً وشِـــمالي!

*** ***

الموتُ ــ يـــا ربِّ ــ تَصَـــيَّدَ شـــاهقاً

والأمْـــرُ فيـــه لعَـــدْلِكَ المُتَعَـــالي!

ولقـــد علِمْـــتَ بـــأنّ عَبْـــدَكَ واحـــداً

أَوْدَى بـــــلا مَـــــالٍ بـــــلا آمَـــــالِ!

فاجعـــلْ ظِلالَـــكَ خَيْمـــةً دُرِّيَّـــةً

تَغشْـــاهُ منـــكَ بنورِهـــا الهَطّـــالِ!

وارسُـــمْ بلُطْفِـــكَ لَوْحَـــة نُوْرِيَّـــةً

يومـــاً طـــويْلاً لـــيس فيـــه ليـــالي!

يومـــاً بـــه "سِـــيْزِيْفُ" نَـــاءَ بِثقْلِـــهِ

ونَنُـــوْءُ مِـــنْ فَـــرَحٍ بغَيْـــرِ كَـــلاَلِ!

*** ***

كُـــلٌّ لهـــا، والفَـــرْقُ: فـــارسُ مُهْـــرَةٍ

مُتَحَـــــــدِّرٌ كَتَحَـــــــدُّرِ الشَّـــــــلاَّلِ!

وكَسِـــيْرُ مِضْـــمَارٍ، يُجَرْجِـــرُ خَطْـــوَهُ

فـــي العـــاجِزِيْنَ بمَوْتِـــهِ المُتَـــوَالي!

جدة، ١٩ المحرم ١٤٢٥هـ = ٩ مارس ٢٠٠٤م.

***

مدرسة الحَجَّاج!

في البدءِ كُنّا طيّبينْ!..

يَتَحَسَّسُ الأستاذُ أيّاماً
طَحَتْ منهُ،
كأنفاس الحَزِيْنْ!
كُنّا نُرَتِّلُ وَقْتَنَا حِيْناً
ونلهو بين جَفْنَيْ صُبْحِنا
الصافي الجَبِيْنْ!

في البدءِ كُنّا طيّبينْ!

ما بينَ صَفْحَةِ قارئٍ أُولَى
وثانِيَةٍ
تَرِفُّ هناكَ أحلامٌ غِزارٌ في العُيُوْنْ!

فتطيرُ أجنحةُ المكانِ،
مهاجراتٍ كالمرَاكِبِ،
صَوْبَ جُزْرٍ من فُتُوْنْ!
في البدءِ كُنّا طيّبينْ!

ـــ اقرأْ!..
.. وسالَ النُّورُ طَوَّافاً،
تَهَدَّجَ بيننا الأملُ الحَنُونْ!

في البدءِ كُنَّا...

ـــ "يا ولَدْ!.."
... ...
يَتَحَسَّسُ الأستاذُ قبضَةَ خَيْزُرَانَةْ!..
يَتَحَسَّسُ الأطفالُ خائِنَةً
بَدَتْ
كثعالبِ العِنَبِ البعيْدِ..
هَوَتْ..
هَوَتْ..
...

تَعِبَ الفَلَقْ..
وذَوَى الوَرَقْ..
ورَوَى الوَلَدْ...
... ...
... ...
... ...
آهِ يا كَفِّي ورِجْلي!
إنَّما أينَ الحِكايةْ؟

دُلَّني باللهِ يا راوي الحَكايا:
كيفَ للبَدْءِ بأنْ يغدو ختاما؟
كي تَظَلَّ الحِصَّةُ الأُولَى دواما
وتَهِلَّ اللحظةُ البِكْرُ حليباً،
ثَدْيُها باقي السِّنِيْنْ؟!

الرياض، ١٨ محرم ١٤٢٥هـ.

***

تباريح شهريار!

كأنَّكِ كُنْتِ..

وتَنْتَظِرِيْنَ بُلُوْغَ يَقِيْنِي
لتَسْقُطَ منكِ التفاتةْ
على عَرْشِ روحيْ
تَتُلُّ بقايا الضَّنَى للجَبِيْنِ،
لكي تَذْبَحِيْنِي!
حَفِظْتُكِ يا ولَهاً من نُضَارِ
ولم تَحْفَظِيْنِي!

أفي مثلِ هذا المساءِ
تَرُدِّيْنَ عَيْنِيْ
بعَيْنَي يَدَيْكِ؟

تَصُدِّيْنَ كُلَّ سنينِ التَّماهي بنسْغِ المَحَبَّةِ،
قُطْنِ الثواني الشَّذِيَّةِ،
حيثُ بَنَيْتِ بحِلِّيْ رَحيْلِيْ
على صفحةٍ من أَنيني؟
تَكُفِّيْنَ،
إذْ أَدْرَكَتْني النهايةُ،
عن أنْ تقولي المُباحَ..
كأنَّكِ لم تَعْرِفِيْنِي،
ولم تُسْمعيني
بأوّلِ ليليْ:
بأني "المليكُ السَّعِيْدُ"!
زماناً تَرَبَّتْ طُيُوْرُ حروفي بأغصانِكِ المثقَلاتِ
بفاكهةِ المَوْسِمِ الرَّازِقِيِّ،
وذِكْرَى حَنِيْنِي!

أهذي المدينةُ أنتِ،
أهذي الشوارعُ مَجْرَى سِنِيْنِي؟!
أهذي الليالي لياليكِ أنتِ؟!
لماذا سَكَبْتِ جمالَكِ في غيرِ عَيْنِيْ؟!

لماذا فَتَحْتِ خزانةَ رُوْحِيْ،
وبِعْتِ كِتابيْ الأخيرَ،
وبِعْتِ جُنُوني؟!

رأيتُكِ لا تحفظينَ وصايا الأُمُوْمَةِ،
يا ظبيةً من خُلاصَة تبْرٍ،
ولا تحفظينَ ارتباكَ المرَايَا على ناهدَيْكِ،
رأيتُكِ أُنثَى ككُلِّ النِّسَاءِ،
فهلْ تَحْفَظِيْنِي؟!

(.. تُلَمْلِمُ أسمالَ ما كان يوما
يُسَمّى عباءتها..
ثم تقذف في العَيْن سهما):

ـــ "كأنَّكَ كُنْتَ.. وكُنْتَ... وكُنْتَ..
أيا رُجُلاً شِبْهَ أُنثَى..
تنامُ على ساعِدَيَّ مساءً،
وتنسَى الحكايةَ عندَ الصَّباحْ!
حفظْتُكَ لكنَّك الرجلُ المستباحْ!

تعزَّ بدَمْعٍ..
أُعيرُكَ عيني؟!
كرهتكَ يا رَجُلاً من نُواحْ!"

ــ أنا الظاعنُ الآنَ في تِيْهِ صَوْتِيْ
أنا الآنَ...
ها أنتِ تي تسكُبِيْنَ حليبَ حروفي الشَّهِيَّ
لقِطَّةِ عُمْرٍ جَنِيْنِ!
وتستَخرجيْنَ رغيفيْ الكسيرَ
لذاكَ الخَصِيِّ..
وذاكَ المَهِيْنِ
المَهِيْنِ!
وتَقْتَطفيْنَ لَهُ
قَصْعَةً بَعْدَ أُخْرَى،
بكِلْتَا يَدَيْكِ،
فزيتونُ عُمْري يُبَاعُ لدَيْكِ..
رخيصاً..
وأحْمَرُ تِيْنِيْ!
طُيُورٌ من الجُوعِ جاستْ بمُهْجَةِ أمسي،

طُيُورٌ تَجُوْسُ بمُهْجَةِ يَوْمي الكَمِيْنِ!

وسَيْفي اليمانيْ الأثيرُ...
(.. تشيحُ وتَضْحَكْ):
ـــ ".. ألا ليس سيفَكْ!.."
ـــ .. بِفَضْلِكِ أنتِ
يُراقِصُ أُغْنِيَةَ "البُوْبِ" و"الرُّوْكِ" لَيْلاً
Britney Spears
على شَفَتَيْكِ
و Toni Braxton
تَبُتُّ وَتِيْنِيْ!
وها قد هرقْتِ سمائي
على مَصْرَعَيْكِ
فَتَحْتِ بمَحْضِ انتقائكِ كُلَّ ثَمِيْنِ!
ومرْبَدُ يَوْمِيْ
كمرْبَدِ أَمْسِيْ
رُعَافُ الدِّنَانِ العِتَاقِ
يُدَارُ لصَيْدٍ سَمِيْنِ!

ـــ "لآخِرُ من يَحْلِقُ الرأسَ أنتْ!
به بِعْتَني، يا فرزدقْ..
به بِعْتَني، يا جريرْ..
وسوقُ النخاسة هذا كسوق الحميرْ!
نهاقٌ
نهاقٌ
وآخرها في مطايا الأميرْ!"

ـــ أُحِبُّكِ لكنْ..
أُحِبُّكِ لكنْ.. قَذَفْتِ بِحُبِّيَ حُبِّيْ
لِيَغْتَصِبَ الجَسَدَ المستباحَ زَنِيْمٌ
ويستبيَ اللحظةَ الأبديَّةَ دُوْنٌ
فيَحْتَلَّ نَفْساً بنَفْسِيَ دونيْ

أيا مَنْ تَعِبْتُ
لأبنيَ فِيْكِ غَزَالَةَ هذي البَراري
تُضيء مراتِعَ هذا الوجودِ الحزينِ الحزينِ!

.. حبيبَةَ وهْمِيْ

أهذا فِراقٌ،
أهذا هلالٌ خصيبٌ،
وغادرَ صدري الجديبَ، وغادرَ دِيْنِيْ؟!

رفعتُ الخياناتِ عن خانةِ الشَّكِّ،
لكنْ..
خَسِرْتُ بأُمِّ الصَّباحِ بقايا يَقِيْنِيْ!
***
سلامٌ على السَّالكينَ لِغَرْبِ العِبَارَةِ،
بِنْتُمْ وبِنَّا،
أما كان في وُسعِكِمْ أنْ تَفُوْنَ قليلاً..
وأنْ تَذْكُرُوْنِيْ؟!
لماذا كَتَبْتُمْ قراءةَ آخرِ سَطْرٍ
بِعَكْسِ اتِّجاهِ الكِتابَةِ..
عَكْسِ اتِّجاهِ عُيُوْني؟

سلامٌ على آخرِ السَّطْرِ هذا!
فإنِّي أراهُ
أراني

بِخَلْفِ الصَّحيْفَةِ نَمْشِيْ،
لساناً مُبِيْناً،
وخَطًّا
بهِ اللُّغَةُ العربيَّةُ تَأْرِزُ صوبَ الخيامِ السَّبِيَّةِ..
صَوْبَ النَّخِيْلِ الرَّهِيْنِ!

أراني
أراهُ
بذَرّاتِ جِسْمِي المُسَجَّى بصَمْتِيْ،
أنا المَلِكُ الضَّرْبُ،
لم تعرفيني!
... ...
ــ "عرفتُكَ يا نونَ عيني!"
... ...
ــ سأبني خيالاً جديداً يربّي حصوني!
برُغْمِ ظُنُونْي
المشيحاتِ عنكِ وعَنِّي
ورُغْمِ النُّسُوْرِ
تُنَقِّرُ كُلَّ جراحاتِ صَدْرِيْ
تَنَقِّضُ جُثْمانَ هذا النهارِ المَدِيْنِيْ!
* * *

جناحانِ يَوْماً
بِريْشِ التَّحَدِّيْ
يَضُمُّانِنا،
يا مَلِيْكَةَ هذا السِّياقِ الهَجِيْنِ!
ويَمْضيْ بأَزْرَقِ أسمائنا
زَوْرَقٌ للبَعِيْدِ
القَرِيْبِ
الضَّنِيْنِ!
هناكَ تَعُوْدِيْنَ تِلْكَ الحكايَةَ
أَلْفاً..
أَعُوْدُ أنا
قَلْبَ ذاكَ الفَتَى
الفارسِ
المُسْتَكِيْنِ!
أنا شهريار..
أنا شهريار!

الرياض، المحرم ١٤٢٥هـ.

***

إلى شعراء "البيتزا هوت"!

(في طقس عبورنا الأخير)

مازالتْ
ثَمَّةَ أنثى واقفةٌ،
في ردهاتِ الرُّوْحِ القُصْوَى،
كخفايا عِقْدِ الكاذِ الأولى،
تسقينا من عينيها،
نبتاعُ قصائدَها بقصائدِنا،
كي يشربَ نادينا
كأسَ الراحِ المكسورةَ داخلَنا،
إذْ نَرْبِتُ حُمْلانَ الأفكارِ،
روابضَ بينَ حواجِبِنا!

ها إنّا كلَّ مساءٍ

نحتلبُ الكلماتِ
كمَعْزٍ من يدِها
...
مُلِئَتْ يدُنا
لَبَناً،
خمراً،
فلنُحْيِ طقسَ مواسمنا البحريةِ،
هذا موسمُنا
ولتصعدْ حورياتُ البحرِ
تصيد ملامحَها بملامحِنا!

آهٍ ما أبهجَ موسمَ هذا الطِّفْلِ
القابعِ في أُمِّهْ!
آهٍ ما أبهجَ موسمَهُ المائيَّ،
ويا خسرانَ مواسمِنا!
جناتُ الخُلْدِ لهُ أبداً!
وجحيمُ الشِّعْرِ تَعيثُ بساعتِنا!

لِوَمِيْضِ لياليهنَّ الحُمْرِ،

كخُضْرِ ترائبهِ بترائبنا،
ها هُنَّ أولئكَ حسناواتُ الموتِ
يقطّعْنَ الأيْدِي
يَصْطَدْنَ براءةَ يوسُفِنا
بشباكِ خطيئتهِ الأولى وشباكِ خطيئتنا!

كحماماتٍ،
هاهُنَّ أولاءِ مَعاً
يسقينَ طفولةَ غفوتهِ الجَذْلَى
عُشْبَ الوَجْد الدّافي
وموردّةُ الحلْماتِ
تُجاذبُ جذوتهنَّ بجذوةِ نشوتِنا

لكنْ،
دِرْكيتو لم يعجبْها شكلُ حَمَامَتِها،
ننياسُ يُنَفِّرُ كلَّ حَمَامِ القَصْرِ ببابلنا!
وتواريخُ الآشوريينَ تَدُوْرُ تَدُوْرُ،
كفَلْكَةِ مِغْزَلْ
آشورُ:

ــ "سُرَّ من لا رأى!" ــ
تاريخُ حصانٍ أَعْوَرْ
ريشُ جناحيهِ يشتعلانِ بزيتِ مشيمتِنا!

آهٍ ما أبهجَ موسمَ هذا الطِّفْلِ
القابعِ في أُمِّهْ!
آهٍ ما أبهجَ موسمَهُ المائيَّ،
ويا خسرانَ مواسِمنا!
جناتُ الخُلْدِ لهُ أبداً!
وجحيمُ الشِّعْرِ تَعيثُ بساعتِنا!

بمحارةِ يعقوبَ "المتشائلِ" فينا
نحنُ الـــ قدّمناهُ ضحيَّتَنا
و"ذهبنا نستبقُ"!
كي يأكلَهُ الذئبُ،
أو يأكلَهُ الجُبُّ،
أو يأكلَهُ الحُبُّ الفيّاضُ،
تكوثَرَ من "أبناءِ اللهِ أحبّتهِ"،
واجْتَبَّ بأمِّ الأرضِ جميعَ أحبَّتِنا!

وبأيدينا نحنُ،
لا أيدي الذئبِ،
ولا أيدي العِبْرانيينَ،
قتلناهُ!
لتُغَنِّيَ أجيالُ الشُّعراءِ الشَّعْبِيِّيْنَ
بطَقْسِ ذبائِحنا،
نحنُ الشهداء بشِعْرِ الطّقْسِ،
كقافيةِ الطَّبْلِ البَلَدِيِّ بحارتِنا!

وبأيدينا؛
...
فضمائرُنا
طَهَّرْنا منها كُلَّ خلايانا،
عَقَّمْنا الأيديْ منْ مِكْرُوبِ سُلالتنا
حاصَرْنا كُلَّ جُيوبِ النَّخْوةِ في دمِنا،
وكَتَبْنا كُلَّ حروفِ الكِذْبَةِ في فَمِنا،
وحَمَلْنا اللاشيءَ العَبَثِيَّ على يَدِنا،
وعلى الأخرى أرْسَلْنا الأشواقَ الوَرْدِيَّةَ،
تُوقِدُنا

فيدانِ:
يَدٌ نامتْ،
ويَدٌ سرَقَتْ يَدَنا،
.. وتَطَوَّحَتَا بنقائضِنا!

وبأيدينا؛
...
منذُ:
غَشِيَتْ قَيْساً لَيْلَى..
لتَمُدَّ له نَعْنَاعَ يَدَيْها،
حُلُماً،
يَفْنَى قَيْسٌ،
ويدا لَيْلَى ليستْ تَفْنَى!
فغَدَا، ولهاً، كحصانٍ أدهمَ، يعدو في غَدِنا!
وزعمْنا أنّ الجنةَ مَوْعِدُهُ،
وحلفْنا أنّ الجنةَ مَوْعِدُنا!

وبأيدينا؛
...

منذُ:
خانتْ لغةٌ حُبْلَى..
كُنَّا خُنَّا
فجعلناها "سِرْكاً" أعْمَى،
يتأرجحُ في حَبْلَيْ مَعْنَى:
من "روما العصرِ"، إلى "نحنُ كُنَّا"؛
مَشْطُوْرِي القامةِ،
"نمشي"،
مَكْسُوْرِي المبنى!
فبأيةِ ما نَحْوٍ عربيٍّ نُعْرِبُنا،
وبأيٍّ عروضٍ شعريٍّ نبني الوَزْنا؟!
شعراءَ الزَّفَّةِ،
عَفْواً،
هل كان (الدُّرَّةْ)،
في نهرِ الفردوسِ الأعلى،
محتاجاً فَحْلاً مَخْصِيًّا
يُلْقِي فينا "دُرَّةُ"؟!

هل كان أبوهُ،

بدائرةِ الموتِ الكُبْرى،
يحتاجُ لشاهد قبرٍ شِعْريٍّ
يمليْ دمُهُ سَطْرَهْ؟!

ولَكَمْ دُرَرٌ سَقَطَتْ،
من قَبْلُ،
وكَمْ تَسْقُطْ؟!
في أيدينا،
من أيدينا،
وبأيدينا!

شعراءَ الزَّفَّةِ،
مَهْلاً،
هل كانتْ بغدادُ بحاجةِ فحْلٍ مَخْصيٍّ
يُحْيِيْ في المربدِ شِعْرَهْ؟!

فَلكَمْ بغدادُ هنا سَقَطَتْ،
من قَبْلُ،
وكَمْ تَسْقُطْ؟!

في أيدينا،
من أيدينا،
وبأيدينا!

شعراءَ الزَّفَّةِ،
لُطْفاً لا أمْراً،
أفتوني في أمري:
هل كانتْ جُمْجُمَةُ الشيخِ المشلولِ،
الطاعنِ في كُرسي
سَيُرَوِّيْها "كلاشينكوفُ" الكلماتِ،
عصائبَ كالطيرِ
حامتْ فوقَ الفرعِ..
دونَ الرأسِ
بمدجَّجةٍ من آلاتِ الشّعرِ
كي تُرعدَ..
تُمطرَ..
من سُحُبٍ حَرَقَتْنا مثلَ "دخونٍ" هنديٍّ،
لتلقّنَ ــ صاحتْ بي ــ
فجرَ العنقاءِ بالرسِّ:

أن الغَدَّارَ لهُ يومٌ..
وسيَذْرِفُ من دمِهِ غَدْرَهْ؟!
ولَكَمْ رأسٌ سَقَطَتْ،
ولكَمْ تَسْقُطْ؟!
في أيدينا،
من أيدينا،
وبأيدينا!

شَهِدَتْ "كمِرا" أو لمْ تشْهَدْ
هاهمْ أطفالُ الأرضِ المُحْتَلَّةْ
من رامَ اللهِ إلى البصرةْ،
في الفلّوجةْ،
في جينين الثَّكْلَى،
في بَعْقُوبَةْ،
حَطَبُ الحاخامِ الأكبرِ والأصغرْ
وفطيرُ الربِّ يهوذا مخضَلٌّ بِنَدِيٍّ من دمنا الأحمرْ
"... هلالويا"..
"اللهُ أكْبَرْ"!
...

وحناجرُنا فغرتْ بغُبَارِ قصائدِنا!
تعبتْ أرقامُ "البُرْصَةِ" من دمِنا
وتعبْنا نحنُ نَعُدّ القَتْلَى في عُرْسِ العَمْ سامْ!
فلتُعْطُوا الشِّعْرَ وهذا العَدّادَ الأفْعَى
ربًّا للشِّعْرِ سواكمْ،
أو ربًّا للعَدْ
لنموتَ،
نموتَ هنا بسَلامْ!

ها نحنُ أولاءِ على إيقاعِ الدُّرِّ،
تَسَاقَطُ من دمِنا،
من عِقْدٍ كان فريداً
كالشَّرَفِ العَرَبِيِّ،
تناثرَ بينَ قبائلِ هذي الأرضِ،
سنحتفلُ،
لنُغَنّي مَوَّالاً آخَرْ،
ونُعَنّي أجيالاً أُخْرى:
"يا ليلَ [العُرْبِ] متى غَدُهُ
أقيامُ السَّاعةِ مَوْعِدُهُ"؟!...

لو بعضَ حَياءٍ،
يا شُعراءَ الزَّفَّةِّ!
بعضَ حياءْ!
...

لو بعضَ حَياءٍ،
يا "فرقةْ حَسَبَ اللهْ"،
من شُعَراءِ المَشْرقِ للمَغْربْ!

شعراءَ الشِّعْرِ "البيتزا هُتْ"
و"المكدونالدزْ"،
كمْ منْ "عَوْلَمَةٍ" للرِّقِّ
وتبديلٍ للأسماءْ؟!
بعضَ مذاقٍ للكلماتِ،
وبعضَ رُوَاءْ!

لقصيدةُ صَمْتٍ واحدةٍ
أشهَى من هذا "الشِّعْرِ ـــ بَغَاءْ"!
لقصيدةُ صَمْتٍ واحدةٍ

أشْجَى من هذا العِيِّ البَيِّنِ يَفْضَحُنا!
ويُعَرِّي في الآتي
بكتاب التاريخِ الأَبَدِيّ نموذجَنا!
لقصيدة صَمْتٍ
أشرفُ من أبياتِ "الفرْقَعَةِ"
المزدانةِ...،
تسعَى في هذي الملهاةِ صباحَ مساءْ!

هل شَالَ لواءَ الشِّعْرَ هنا
أحدٌ لم يَدْخُلْ طَقْسَ جنائزِنا،
في بِشْتٍ "سوبرمانيٍّ" أو ربطةِ عنْقٍ حمراءْ؟
ليُقَدِّمَ مُحْرَقَةً أخرى،
قرناءَ ككبشِ بني عَبْسٍ..
ويَسُحَّ قصائدَهُ الخَنْسَاءْ؟
يَتَأَبّطُ رائعةً عَصْمَاءَ،
بِكارتها جدبٌ،
وكهولتُها صحراءْ!
رَشَقَتْ دمَهُ بعصارةٍ لوزِ الفتنةِ في عيني حَوّاءْ!
لتُراودَ عِفَّتَهُ،

فتراودَ عفتَنا لغة بيضاءْ!
وكسكّينٍ
أَلِفَتْ يدُها يدَنا،
ذَبَحَتْ جيلاً سلَفُوا مِنّا،
وستَذْبَحُنا..
شِعْراً:
وجميعاً نحنُ هنا شُعَراءْ..
نَثْراً...
نَحْراً:

وجميعاً نحنُ هنا "نُحَرَاءْ"!

وجميعاً نحنُ نُغَنِّي، عَنْ غَدِنا:
"يا طَقْسَ عُبُوْرٍ،
قلْ لي شيئاً،
ما عادتْ لغةُ التَّرْحالِ تُعَزِّيني!
أغَداً شَمْسٌ أُخْرَى؟
أمْ شَمْسُ الأَمْسِ
ستَكْسِرُها أُمّي

كي تَسْقِيْني؟!"

يا تجّارَ الكلماتِ،
حياءً!
نرجوكمْ.. لو بعضَ حياءْ!

ما قال الشِّعْرَ هنا
أحدٌ أبداً
شَفَتَاهُ تحترمانِ الشِّعْرَ،
وهذا المَشْهَدَ،
أو نَفْسَهْ!

Bloomington, USA, 5/11/2000- الرياض، ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٣.

***

مناجاة!

أنا،
يا باريَ الأكوانِ،
آيةُ كَوْنِكَ الأَسمَى،
فكُنْ منِّي رِضَا كَوْني!

إلهي،
ثارَ في أمني قَطَا خَوفيْ،
إليكَ، ومنكَ، تحدو بي عناويني!

إلهي،
إنْ زهوتُ، فأنتَ أشواقي،
قوافي الغيمِ تُزْهِرُ
في بساتيني!

لكَ، اللهمَّ، حُكْمٌ،
فيه حِلْمٌ،
فيه عِلْمٌ بالموارَى في شراييني

فسُقْني، سِرْبَ أطيارٍ
لأعشاشِ الأمانِ الخُضْرِ!
صُغْ صَوتي وتلحيني!

ولا تحرمْ يمامةَ صدريَ الأُوْلَى،
فتكسر ريشَ هذا الحُبِّ بالطِّيْنِ!
تغني بين أغصانِ المثاني،
سال منها النورُ في جرحي
لتبْريني!

لقد أسلمتُ أنفاسي،
فَصُبَّ اللازوردَ عَلَيَّ في أقصَى موازيني!

بناصيتي وأَقدامي،
بإقدامي وإحجامي،

برئتُ إليكَ من ذاتي!
برئتُ إليكَ،
يا باري الورَى،
منّي!
إليك (أنا)!
فخذني من إراداتي!

وحرّرني من الماضي،
من الآني،
من الآتي،
ومن عاداتِ عاداتي!

يقول الله:
"قد سَمِعَتْ
وقد وَسِعَتْ أَنِيْنَ الكَوْنِ كُلّ الكونِ كلْماتي!"

لقد ضاقتْ بي الأسْماءُ،
والأوجاعُ،
إنْ ضاقتْ عن الرحمنِ أنّاتي!

دمي نهرٌ سَرَى،
أنتَ الذي لوَّنْتَهُ،
أنتَ الذي أحصَى كُرَيَّاتي!

فأجْرِ دمي،
وأقْرِ فمي،
ولكنْ..
في ثَرَى ما شئتَ أن يأتي من الآتي!
إذا ما متُّ، يكفيني،
ليُحييني،
بأنكَ فيَّ حَيٌّ بَيْنَ ذَرَّاتي!

يديْ،
رجليْ،
دعوتُكَ، رَبِّ، لا تُطْلِقْهُمَا مِنِّي!
ولا تُرْسِلْ شُوَيْهاتي!

بغير حماكَ، يا ربِّ!
وكبِّلني بحبلِ رضاكَ،

يا أشهَى اعتقالاتي!

وخُذْ عَيْني،
إذا ما أبْصَرَتْ
ما ليس يُرضي عَيْنَكَ، اللهمَّ، عن عَيْني!

وأذنيْ،
دفتريْ السِّرِّيَّ،
مَزِّقْهُ!
ولا تفضحْ بأذنيْ كُلَّ مَكْنُوْنِي!

إلهي،
(صاح أيوبُ):
"إذا ما صِرْتَ في كُلِّي،
فكُلِّي ليس يعنيني!"
....

الرياض، رمضان ١٤٢٤هـ.

***

القصائد

***

أعمال أخرى للشاعر

١ ــ (٢٠٠١). مفاتيح القصيدة الجاهلية: نحو رؤية نقدية جديدة عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا. (جدة: النادي الأدبي الثقافي).

٢ ــ (١٩٩٩). شعر ابن مقبل، قلق الخضرمة بين الجاهليّ والإسلاميّ: دراسة تحليلية نقدية ــ جزءان. (نادي جازان الأدبي).

٣ ــ (١٩٩٨). شعر النقاد: استقراء وصفيّ للنموذج. (الرياض: جامعة الملك سعود، كلية الآداب، مركز البحوث).

٤ ــ (١٩٩٧). الصورة البَصريّة في شعر العميان: دراسة نقدية في الخيال والإبداع. (نادي الرياض الأدبي).

٥ ــ (١٩٩٠). إذا ما الليل أغْرَقني: (مجموعة شعريّة). (الرياض: دار الشريف).

❑❑